ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1055 - الجمعة 22 ذو الحجة 1424 هـ - الموافق 21 فبراير 2004

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

عوامل بناء النفس

واعتصموا بحبل الله جميعا

يدعونا ديننا الإسلامي إلى التماسك والتعاون والتآخي ونشر المحبة وإشاعة السلام والخير بين البشرية لتحيا الإنسانية في هدوء واطمئنان بال.

وهذا التوجيه الإسلامي الذي يسعى لتحقيق الأهداف النبيلة لاشك أنه يكمن في تطبيقه تقدم المجتمعات وتهذيب أخلاقها ولطف البعض منا بالبعض. ومن المسلم به أنه لا يمكن تحقيق ما نصبو إليه جميعا نحن أبناء البشرية من إصلاح وبناء إلا بالتئام شملنا ونبذ من يسعى لتفرقتنا بقول أو عمل فإشارات الإسلام الواضحة وتعليماته النيرة تحث على وحدة الصف على تقوى من الله ورضوان ومن تأمل في ذلك يجد أن علامات الحث على الوحدة تتجلى في مناحي كثيرة فالله جل وعلا يدعو الجميع للصلاة في أوقات مضبوطة ويفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد كما يحث على إقامة صلاة الجمعة في كل أسبوع إذا وصل أهل القرية من العدد ما يوجبها على الساكنة حسب الشروط المنصوص عليها في كتب العبادات الفقهية. ولا يرضى للقادر الواجب عليه أداؤها التخلف عنها للنهي الوارد في ذلك إلا لعذر.. ويطلب من المسلم حضور صلاة العيدين مع إخوانه المسلمين كما جعل شعيرة الحج ركنا من أركان الإسلام، وأوجب أداءها على المستطيع من هذه الأمة كل سنة فيتوجه المسلمون للديار المقدسة من شتى بقاع العالم ليطوفوا ببيت واحد وليسعوا في مكان واحد وليقفوا على جبل واحد وليحرم الحجاج في أماكن واحدة مضبوطة حسب الجهات القادمة منها. هذه الإيماءات الموجهة لنا نحن المسلمين تدعونا في واقع الأمر إلى أن نكون متلاحمين متراصين متضامنين وبذلك تزداد قوتنا إيمانا وعملا وسلوكا (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) فكم من حديث جاء للحث على التضامن والتمازج فلا يمكن لنا أن نتبوأ المكانة السامية دينا ودنيا إلا بامتثال ما يوجهنا إليه نبي الرحمة وهادي الأمة إلى ما فيه صلاحها دنيا وأخرى فإذا نحن لم نعد تربيتنا ونصوغها بما يرسمه الإسلام لنا لن نخطو خطوة إلى الأمام بل نتخوف من استلاب الآخرين لجميع معالم قيمنا.

فهذه الأوقات التي تدعو المسلم بالاجتماع مع أخيه المسلم لأداء عبادة سواء كانت فرضا أو سنة مؤكدة إن نحن شغلناها بما ينفعنا من تنظيم في حياتنا وتقوية في علاقتنا فيما بيننا ومع غيرنا في مجالات النمو الاقتصادي والاجتماعي والمعرفي بالمفهوم الواسع فسوف نبني أمتنا البناء الصحيح السليم الذي يكفل لنا التقدم المثالي بمعنى الكلمة.

فالوقت لا يبخل على من أشغله فيما يفيد بأن يجود عليه بما يبهر العقول من تطور يذلل به صعوبة الطبيعة أرضا وبحرا وجوا وما تعيشه البشرية من تقدم مادي تنقصه التربية الأخلاقية لعدم الوازع الديني خير شاهد على ما أشرت عليه فعلينا أن نكرس الجهد ونعقد العزم على نشر المحبة بين بني الإسلام ونغتنم الوقت الثمين فيما هو أجدى وأنفع من إصلاح للنفس واستغلال للفكر المبدع الخلاق كي يعطينا مجتمعا صالحا واصلا إلى مقام الأمم الراقية صناعة وفكرا وسلوكا وحضارة تنشر العدل والمحبة وتحافظ على شرف الإنسان وتبتعد من هدر حقوقه المقدسة وتعامله بالتسامح والعفو عن زلاته والصفح المطلق الذي يبني الثقة ويقوي الروابط (إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا) سورة النساء/ الآية :149.

فالإسلام لا يقبل من أي كان أن يجرح شعور الآخر احتراما للانسان ومراعاة لحقوقه ويحث ديننا الحنيف على الإصلاح بين الناس قال تعالى:« لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه أجرا عظيما» سورة النساء/ الآية:113. وفي بعض الأحاديث « الكلمة الطيبة صدقة » قال الله تبارك وتعالى: «انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون» سورة الحجرات / الآية: 10.

إن البعض من أعلام البشرية تعمق في دراسة الهدي الإسلامي وأهدافه النبيلة في مراميه السامية فرضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا والبعض الآخر من عباد الله أعمى الله بصيرته عن هدي الإسلام وصار يرميه بما هو براء منه وتلك المزاعم لا تضر الإسلام في شيء قال صلى الله عليه وسلم (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكان منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ). فلهذا يوجد من شرح الله صدره لمقاصد الإسلام الإصلاحية ومغازيه العالية ودعوته المثالية إلى الإصلاح كما يوجد العكس.

فاللهم اهدينا فيمن هديت يا أرحم الراحمين ... فلنصلح أنفسنا وندعو الآخرين لإصلاح أنفسهم فمن كلامه عليه الصلاة والسلام من حديث (وإن أحدكم مرآة أخيه فإن أصابه أذى فليمطه) ونوجه لحفظ الغيب ولاندع الآخر، بالكلمة اللينة ، أن يمس من شرف أخيه ولا يقع في عرضه (من ذب عن عرض أخيه رد الله النار عن وجهه يوم القيامة) فالمجتمع الإنساني في حاجة ماسة إلى إبعاد الصراعات من ساحة الإنسانية لما فيها من فساد وضر على الكائن البشري ، فلنقبل على ما يغرس المحبة في أنفسنا (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا).

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس وفقه الله الأمين العام بالنيابة لرابطة علماء المغرب.

بقلم النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

الشيخ ماء العينين لارباس

منهاج الإسلام في التربية على العقيدة الصحيحة

اسطرلاب الروداني

الاتجاه العقلاني في الفكر المغربي المعاصر

تنبيه ذوي الطلب على استعمال الأدب

الحجة الباهرة على تقرير معنى البسملة

العدل والعدالة في التوجيه الديني

متابعة العدل مع الجار

نتابع في هذا العدد الحديث عن العدل مع الجار، والتعامل الاجتماعي بين الأسر الذين يجتمعون على صعيد واحد قد يكون صغيرا وقد يكون كبيرا، فحدود الجوار تتسع في رؤية بعض الموجهين، وقد تضيق في رؤية البعض الآخر، ولكن تبقى علاقة الجوار مكرمة محترمة تعطى حقوقا لم يمكن الوصول إليها أحيانا إلا بواسطة الجوار، فقد روي عن الحسن أنه سئل عن الجار فقال أربعين دارا أمامه، وأربعين عن يمينه وأربعين عن يساره، ومن أجل تسهيل التعامل مع الجار نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لايبدأ بجاره الأقصى قبل الأدنى ولكن يبدأ بجاره الأدنى قبل الأقصى.

إن أحكام الإسلام جاءت مع بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتضع عدالة إسلامية اجتماعية إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة ولكل مقوماتها، يتعايش معها وتحت مظلتها الإنسان المسلم والإنسان غير المسلم. لأن ميدان العدل ليس خاصا بالمسلم فقط، بل هو طريق الإسلام الإنساني لحماية المسلم وغير المسلم.

إن الحياة الاجتماعية في نظر الإسلام حياة تراحم وتواد وتعاون وتكافل، وهي لذلك مضبوطة ومنظمة ومحددة بين المسلمين على وجه خاص وبين جميع أفراد الإنسانية على وجه عام.

وحين نلتقي في ساحة الجوار تتحدد معالم تلك المسؤولية، وتتحدد المسالك التي نمر منها لنعيش مع الوصية الإلاهية ُمازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثهُ.

وهكذا نجد الطريق معبدة للوصول إلى تحقيق ما أمر به الله ورسوله من العدل مع الجار.

وتقضي نصوص العدل مع الجار بالوفاء بعدة التزامات يمكن أن نجملها في أمرين اثنين:

1- عدم الإيذاء.

2- الإحسان إلى الجار..

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

حديث التجيبي عن أهرام الجيزة والآثار القديمة بمصر

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ بعد أن سجل التجيبي ما شاهده من مقياس النيل والطريقة الهندسية التي صنع بها هذا المقياس، واهميته في حياة المصريين عموما حكومة وشعبا، وذكر أن الذراع المحددة على مقياس النيل الرخامي العجيب، هي الذراع المعتبرة عند الأندلسيين وقد أدخلها إلى الأندلس أحد علماء قرطبة الذي تحمل الصعاب من أجل اداء فريضة الحج ولقاء شيوخ العلم، والبحث عن النوادر من الكتب والآثار، واستطاع هذا الموثق القرطبي محمد بن الفرج أن يأتي من مصر بالمقياس الشرعي الذي سمي باسمه، فيقال: (ذراع محمد بن الفرج) وحمد له العلماء والناس صنيعه، واعتمد هذه الذراع الفقهاء والشهود والموثقون، وأنقذت ذراع محمد بن الفرج الناس من الفوضى، حيث لم تكن هناك ذراع موحدة عند الأندلسيين قبلها، وبعد هذا يقول: "ومما عايناه ببر الجيزة على نحو خمسة أميال من القرية المذكورة، الأهرام العظيمة البنيان،عاينا منها ثلاثة في موضع واحد قريبة بعضها من بعض، منها اثنان متساويان في العظم، والثالث على النصف من أحدهما، ومجموعها من عجائب بنيان العالم، والإثنان المذكوران مبنيان على مقابلة الرياح الأربعة، وهي بحملتها في مستوى من الأرض، ولايعلم فيما جاورها جبل يقطع منه الحجر يصلح لبنائها، ويقال:إن حجارتها نقلت على مسافة أربعين فرسخا، وهي مبنية بحجارة الكذان العظام. العظيمة. الذي ارتفاع الحجر منها خمسة أشبار، وأكثر وأقل مما يناسب بعضه بعضا حسبما توجبه الصناعة الهندسية، وشبر بعض احجارها وأنا أنظر، فبلغ طوله أزيد من ثلاثين شبرا، وباقيها مما يناسب ذلك ويقرب منه، وهي في جملتها من أبدع شيء يرى في حسن الصنعة، لأن حجارتها قد ألصق بعضها ببعض حتى يخيل للناظر إليها أن جميعها قد أفرغ من قطعة واحدة، وبسبب حسنها أنها نحتت بعدما بنيت.... ذرعنا الهرمين الكبيرين منها فألفينا في كل وجه من وجوه كل واحد منهما من جهاته الأربع ثلاثمائة خطوة، وذرعنا الصغير منها فألفيناه على النصف من أحدهما..."ثم يذكر ماقيل عن ارتفاعها، وأن أمرها عجيب، إلى أن يقول: واختلف المؤرخون في أمر هذه الأهرام اختلافا كبيرا... وزعم بعضهم أن الكبيرين، قبرا ملكين من الملوك السالفة، وأن احدهما:(عاديتون)، والآخر(همرس)، وكان بين وفاتهما فيما يزعمون ألف عام أو نحوها، وكان سكان مصر وهم من الأقباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانية فيهم...إلى أن يقول: "ولايروى في أمرها خبر ثابت، ولذلك قال القائل:

"حسرت عقول أولي النهى الأهرام
واستصغرت لعظيمها الأحلام
ملس مقببة البناء شواهق
قصرت لعال دونهن سهام
لم أدر حين كبا التفكر دونها
واستوهمت لعجيبها الأوهام
اقبور املاك الأعاجم هن أم
طلسم رمل هن أم أعلام

وفي أحد الهرمين الكبيرين ثقب مرتفعة من الأرض نحو قامة، صعدنا إليها لننظر ما في داخله، فرأينا دهليزا عظيما طويلا ضيقا، مظلما، لم نعلم إلى أين ينتهي آخره؟وقذف فيه بعض أصحابنا بحجر فلم ينته إلى قعره فيما حسبنا.

يلاحظ قارئ الرحلة دقة وصف التجيبي للأهرام، وكثرة أسئلته لأهل البلد عن سر هذه المعلمة التاريخية القديمة، العجيبة، فهو يقيس بالذراع، والقامة، والخطوات، ليعطي للقارئ وصفا يصور الأهرامات وكأنه يشاهدها.

التجيبي يصف (أبا الهول) فيقول: "وبمقربة من هذه الأهرام الثلاثة رأس صورة من حجر صلد هائل المنظر، على صورة رأس الإنسان، غيرأنه غاية في الكبر، قد قام كالصومعة العظيمة، ووجه هذا الرأس مقابل إلى الأهرام، وظهره إلى القبلة مهبط النيل، ويدعوه أهل مصر (بأبي الأهوال)، ذرع عنق هذا الرأس أحدهم وأنا أنظر إليه، فألفى فيه نحو تسعة أقدام، ويزعمون أنه طلسم للرياح، وأنه لو ذهب لأتلف الريح مصر، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وقد أذكرني الآن وصف هذا الصنم ما انشدنا العدل أبو القاسم السلفي بلفظه، وأخبرني عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأبار، قال أنشدنا أبو الربيع بن سالم، وأخبرني أنه أنشده، يعني أبا عبد الله، قال: قال أنشدني أبو عامر البرياني لنفسه في الصنم الذي بشاطبة:

بقية من بقايا الروم معجبة
أبدى البناة بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم
تتابعت بعد سمود لها صنما
كالمبرد الفرد ما أخطأ مشبهه
حقا لقد برد الأيام والأمما
كأنه واعظ طال الوقوف به
فجاء يحدث عن عاد، وعن ارما
فانظر إلى حجر صلد يكلمنا
أشجى وأوعظ من قس لمن فهما

ثم يقول: وبمقربه من الأهرام أيضا بيوت منحوتة في الحجر الصلد، وأسقافها من حجارة منحوتة أيضا على شبه الخشب التي تكون في أسقاف (كذا) البيوت، عاينا منها عجبا عبرة لمن اعتبر..."

بعد هذا يعود التجيبي إلى القاهرة ليرتب أمر سفره مع جماعة الحجاج إلى الديار المقدسة عبر النيل، ونزل الحجاج بعدد من المدن والقرى على شاطئ النيل، يذكر منها: (منية ابن خصيب) على شاطئ النيل في الضفة الغربية، كثيرة المرافق، وبعدها نزل بمدينة أسيوط، يقول عنها: بليدة حسنة الخيرات والأرزاق، وفيها كثير من قصب السكر، يحمل منها إلى جهات مصر...

وبعد ذلك دخل الحجاج إلى مدينة (اخميم) يقول: وهي من بلاد الصعيد في الضفة الشرقية من النيل، أزلية بها آثارللأول، منها الهيكل العظيم الشان القديم البنيان المعروف (بالبربا) أحد عجائب الدنيا، وهو سبع بلاطات كل منها على عدة من السواري الهائلة العظيمة، وكل سارية مؤلفة من عدة قطع، ركب بعضها فوق بعض، وألصقت كل قطعة مع التي تليها أبدع إلصاق، أطبعت بالنجارة المحكمة التي لايكاد أن يتأتى مثلها في الخشب، وهي ثمان وثلاثون سارية كلها مناسبة بعضها لبعض في العظم وحسن الصنعة، شبرت منها واحدة فألفيت في دورها . محيطها . احدا واربعين شبرا، ولكل واحدة منها رأس منحوت محكم الصنعة مناسب لعظمها، وجميعها مكتوب في أعلاه أسفله بالخط القديم، الهرغليفي. لا يقدر أحد الآن على ترجمته". وكلمة (الآن) في كلام التجيبي لها مدلول عجيب، لأنه جاء بعد ذلك من قرأه وترجمه. وهكذا استمر في وصف بناية هياكل اخميم. إلى أن يقول: وقرأت بخط بعض أشياخ مشايخنا أن الذي صنع (البرابي)، هياكل الأقصر الضخمة. هو الملك (أق) وأنه كان ساكنا بمدينة من مدن الصعيد يقال لها: صور، كانت كرسي مملكته وهي التي يقال لها اليوم (أقصر)... وإن هذا الملك كتب فيها هو وعلماء مصر جميع أموالهم، وذخائرهم، وكتبوا صفة كل إنسان من أصحابها.... اي وصفه..

والكلام الذي يرويه التجيبي من خط بعض أشياخ شيوخه يدل على أن علماء المسلمين كان لهم اهتمام بهذه الآثار، ولذا بحثوا عن أصلها، وعن بناتها، ورسومها وكتاباتها، والقصد من بنائها، والبحث عن سره وأهدافه، فعلماؤنا لم يقفوا منها موقف المستنكر ولا موقف المهمل لشأنها...

والآثار القديمة بمصر كانت موجودة قبل الإسلام فرعونية وغيرها، من كنائس، ومعابد، وتماثيل، وقصور، وهياكل كبيرة، لم يتعرض لها المسلمون بسوء، بل كانت محل إعجاب، ومحط عبر وعظات تحدث عنها كثير من الرحالة، من علماء المغرب وغيرهم وكل هؤلاء سجلوا إعجابهم بها، ووقفوا عندها وقفات طويلة يتأملونها، ويصفونها بدقة متناهية، يستعملون مقاييس زمنهم، من ذراع، وخطى وأشبار، وأصابع، وقامات، وهم في كل ذلك يقدرون إبداع المبدعين من النحاتين والرسامين والبنائين والنقاشين، والمزخرفين، ويقول التجيبي: سجل بها الأقدمون علومهم، ومعارفهم، خوفا عليها من الضياع" ويؤكد أنهم رسموا بإبداع، ونحتوا بإتقان في الحجر الصلد، الذي لايتأثر بالماء، ولا بالنار، ولابعوامل الزمان، وظلت آثارهم شاهدة على براعتهم، ومقدار ماوصلوا إليه من إتقان في صناعة البناء،آثار قاومت تعاقب الليل والنهار عبر الأحقاب والأزمان وظلت عبرة لمن اعتبر. يقول التيجبي:" وكانت إقامتنا بها. بالأقصر. أربعة أيام مكرهين بسبب اعتقال مركبنا، حتى كشف المكاسون. الجمارك. عن جميع ماوصل فيه من البضائع، والأموال، على نحو ماتقدم ذكره، في ديوان الاسكندرية، بل أشد وأفظع، وألزم أرباب المال والبضائع جملة ألقاب من المكس، فأدوها مكرهين، والله تعالى يصلح أحوال المسلمين، ويرفع عنهم المكوس، ويرشد ولاتهم لإقامة الحق والعدل بمنه وكرمه، ولم يتفق لنا بهذه البلدة لقاء أحد من أهل العلم، ولاشك أن التجيبي أسف لذلك، ودعواته بإصلاح أحوال المسلمين ،تؤمن عليها، ونطلب من الله تعالى الاستجابة.

(تتمة ص:1)

ففي الجانب الأول يفرض علينا عدل الجوار عدم إيذائه في عرضه أو ماله أو نفسه، أو ولده أو أحد من أسرته، لأن الجار المؤذي يجعل الإنسان يعيش في خوف وفي حذر دائم في الليل والنهار وفي الصباح والمساء، ويبقى خطر الشقاء والإصابة بالمكروه هاجس دائم على الجار، وتغيب الراحة والاطمئنان اللذين بدونهما يظل كابوس الضيق والضجر يخيم على الجار، فالجار الذي يقصر في التزاماته الإنسانية ويصل بجاره إلى حالة اليأس من الإقامة بالمكان لن يكون جزاؤه عند الله إلا النار، وهو مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه" أي شروره وإيذاءاته.

وقد أوردنا حديث المرأة التي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تصلي الكثير، وتصدم الكثير ولكنها تؤذي جيرانها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هي في النار"، والمرأة والرجل في هذه الساحة على حد سواء، فكل تصرف فيه إيذاء للجار ومس بحقوقه، وبكرامته يهوي بصاحبه إلى النار في الجزاء الأخروي، على أن كثيرا من هذه الأفعال الخائبة يجازى صاحبها من الله في الحياة الدنيا قبل الآخرة.

وفي الالتزام الثاني وهو الإحسان إلى الجار تفرض قواعد الجوار أن لايبيت الجار جائعا، ومن بجانبه شبعان وهو يعلم ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان واضحا في نفي الإيمان عن الإنسان الذي يبيت شبعانا وجاره جائع وهو يعلم وضعه الاجتماعي.

ومن أمثلة البر والإحسان والإكرام الإنساني إلى الجار ولو لم يكن مسلما ما أخرجه أبو داود والترمذي "ذبحت شاة لابن عمر رضي الله عنه فقال لأهله هل أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ فقالوا: لا، فقال: ابعثوا له منها" في هذه الأحداث والوقائع الإيجابية نجد الشهامة الإسلامية والكرامة الإنسانية تنشر معالمها، وتضع الحدود لحقوق الجوار ومقاييس العدل مع الجار، فابن عمر رضي الله عنه، كان جاره يهوديا، ولم يقبل أن يحرم جاره من مشاركته في جزء من لحمها، فأمر أهله بإعطائه حق الجوار وهو أضعف الحقوق، وقد أوردنا في العدد الماضي حق الجار غير المسلم، وحق الجار المسلم، وحق الجار القريب المسلم، والتفسير الذي نقلناه في العدد الماضي للآية السادسة والثلاثين من سورة النساء في قوله تعالى "والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب" يثبت هذا التوجيه الديني للعدل الإسلامي مع الجار، وإلى العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

الحجة الباهرة على تقرير معنى البسملة

للعالم الهمام حجة الإسلام الشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الوافي رحمه الله

■ الأستاذ: إدريس كـــرم

2/3

فقد سالني غير ما مرة جمّ غفير من الطلبة على أن أضع لهم شرحا مختصرا على البسملة، وأوائل السور، حسبما فتح الله علي وهو الفتاح العـليم وبيده مقاليد السماوات والأرض، وآخر مـن طلب منـي ذلك السيـد الفاضل الـسيد أحمـد الخليفـة بن النحرير الفاضل السيد عمر بن السيد محمد المصطفى الرقادي.

فها أنـا مسير إلى بـعض معانيهـا ولو أنها لا تحصـى ولا تدخل تحت حصره.

■■■■

أما الباء فإنها تتعلق بأربعة أمور، وخمسة منها تتعلق بالسين، وثمانية تتعلق بالله، وخمسة تتعلق بالرحمن الرحيم.

■■■■

أما المتعلقات التي تتعلق بالباء، فمعناه وتعليقه وسبب تطويله وسبب تحريكه بالكسرة، فهذه أربعة أمور، فمعناها بالجملة هي باء الاستعانة على الأصح، وقيل للمصاحبة وقد تقدم البسط فيها، وبالحقيقة باء البهاء.

وقال أبو بكر في الرياض: البسملة روضة من رياض الجنة، ولكل حرف منها معنى، فالباء بهاء الله وبالحقيقة باق بعد فناء خلقه من العرش إلى الثرى، بصير بعباده من العرش إلى الثرى، بارء خلقه من العرش إلى الثرى سميع لنجوى عباده من العرش إلى الثرى.

■■■■

والسين سناؤه، ومعناها سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى، سميع لنجوى عباده من العرش إلى الثرى، سيد قد انتهى سؤدده من العرش إلى الثرى، سائل رحمته من العرش إلى الثرى، وقد استخرج من نمط هذين الحرفين أقسام الشرع الخمسة، وهو الوجوب والتحريم والكراهة والإباحة والاستحباب، وكيفية استخراجها هو أن تضع لكل حرف ما له من الأسماء، فللباء منها بصير بارء باق، وللسين سريع سميع، واستنبط من قولك سريع وعيد أو يستنبط منه المحرم، إذ هو موجب وموجب الشيء كهو، ويشتمل المحرم على المكروه، إذ موضوعها النهي، إما جازما أو غير جازم، فيبقى بين طرفي القضية حمل متوسط وهو الإباحة، ويستنبط من باء الإباحة إذ لا يدل على وعد ولا وعيد، وأما الميم فمعناها متعلقة بمحذوف اتفاقا، فجعل البصريون المتعلق به إنما مشتقا لأنها لا تتعلق إلا بالفعل أو ما في معناه، وأما الكوفيون فإنهم ذهبوا إلى أنه فعل، وفيه ثمانية أوجه، المختار منها عند المحققين ثلاثة، كونه فعلا، وكونه مؤخرا، وكونه خاصا بالإجتماع، كقولك بسم الله الرحمن الرحيم، أؤلف أو أقرأ أو أريد أو غير ذلك، فظهر من هذا أن الحرف من حيث هو حرف جر لا يستغني عن فعل أو ما في معناه مما يتعلق به، إلا مسائل استثنوها، وقد نظمها الدماميني فقال:

وكل حرف جر تبغي تعلقا
سوى ستة عن حفظها ليس يغنى
مزيد لعل رب لولا لمضمر
وكاف لتشبيه وحرف للاستثنى

■■■■

وتجيب عن الثالث أن الباء طولت لأمور منها التفخيم والدلالة على الحرف المحذوف، وقيل عوضا من الألف المحذوفة لفظا وخطا على كثرة الاستعمال.

وعن الرابع تجيب أنها كسرت لمناسبة العمل.

وأما الخمسة التي تتعلق بالاسم فمعناه وإعرابه واشتقاقه وإسمه وعدد لغاته، فهذه خمسة أشياء، فتجيب عن الأول بأن الإسم هو ما دل على مسماه دلالة تعينه بلا قيد، وعرفا هو ما دل على مفرد، وذلك المفرد دل على معنى في نفسه غير متعرض لزمان.

■■■■

وأما الثاني: فتجيبه بأن إعرابه الجر بالباء وعلامة جره الكسرة، وأما الثالث: فتجيبه عنه بأنه مشتق من السمو عند البصريين وقيل من الوسم وهي العلامة الخاصة التي تعين صاحبها ولا تفارقه أصلا، ومنه قوله تعالى سنسمه على الخرطوم.

■■■■

وأما الرابع: فتجيبه عنه بأن تقول له رسمه بالألف لكنها حذفت في المصحف العثماني، وأما اسمه فإنه لا يقال.

■■■■

وأما الخامس: فتجيبه عنه بأن لغات أتت في الإسم بنقل العارفين بنقلها سم سمت وسم سمات كذا سماء سما بتثليث الأوائل كلها، وأما الثمانية التي تتعلق بالله: فمعناه وإعرابه واشتقاقه ولغاته وهل هو الإسم الأعظم أم لا؟ وهل هو مشتق أم لا؟ وهل هو عربي أم لا؟

■■■■

فتجيب عن الأول بأن معناه بالجملة هو الدائم المستحق للعبادة المفزوع إليه المستغني عن غيره، وبالتصريف الألف لاؤه، واللام الأول لقاؤه، واللام الثاني لطفه، والهاء هداه، وهو أيضا علم لذات واجب الوجود المستحق لجميع المحامد.

وأما الثاني فتجيبه عنه بأنه مشتق من التواله ومنه قول العرب ناقة ولوه أي متحيرة عن إبلها وهو ها هنا اسم مفعول بمعنى وله إليه، ومن الإقامة، ومنه قول الشاعر:

الهنا بدار لا تبين رسومها
كان بقاياها وشام على اليد

والارتضاع وهو مأخوذ من قولهم، ولهت الشمس إذا ارتفعت، وقيل هو الإسم الذي تحيرت العقول في اشتقاقه كما تحيرت في معناه، ولله در العقول:

تحيرت في وصفه العقول
ليس إلى إدراكه سبيل

ومما صححه البيضاوي، عدم اشتقاقه إذ أسماؤه تعالى توقيفية، وقد اختلفوا فيه إلى عشرة أوجه، وأصحها ما ذكر.

■■■■

وأما الرابع فتجيبه عنه بأنه عربي عند أكثر العلماء وقيل عجمي، وعلى القول بعرابيته أصله إلاه كإمام، ادخلوا عليه الألف واللام ثم حذفت الهمزة طلبا للتخفيف ونقلت حركتها إلى اللام فصار الله بلامين متحركين، ثم سكنت الأولى وأدغمت في الثانية للتسهيل، فصار الله كما تقرأ وعلى القول بالعجمية أصله لا هاء بالمد علم على الذات المخصوصة بالكمال وعلى هذا القول هل هو عبراني أو سرياني به قولان، وعلى هذا فتفسيره بالعربية في العبرانية مخرج للأشياء من العدم إلى الوجود.

■■■■

وأما الخامس فتجيبه عنه بأنه هو الإسم الأعظم عند جميع المحققين، ولذلك ورد في القرآن ألفي مرة وثمانية وتسعين تصريحا وتلميحا خمسة آلاف وخمسمائة وخمس وخمسون مرة وإضافته للبسملة والحمدلة، وبعدم التسمية به إلا ما روى أن رجلا ممن تقدم هم أن يسمي ابنه به، فنزلت عليه صاعقة فاحرقته ولعدم فهم العلة منه، وقيل ما من إسم لله إلا وهو أعظم، لكنه بالنسبة إليها كالمقدمات لأنه لا يستغني به عنها، ولا يستغني بها عنه ولتقديم الله له في الذكر، وهو قوله، هو الله الذي لا إله إلا هو إلى آخره، وقوله ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، إلى غير ذلك.

وقيل أخفاه في أسمائه كليلة القدر في الليالي، والصلاة الوسطى في الصلوات، واختار النووي وكونه الحي القيوم، وقال ابن العربي ناشدا:

الاسم الأعظم هو الله قد نسبوا
لقطب جيلانهم فاسأل به تنل
أو اسمه الحي القيوم، تجب
بالله والحي القيوم فامتثل

وقيل قد نظمها ابن العمار مراعات للخلاف، وحكمه الاخفاء طلبا لعموم المحافظة.

■■■■

وأما السادس فتجيبه عنه بأنه كتب أولا بألف ولام مرشوقة هكذا اله فدخل التصريف المتقدم بيانه في البحث الرابع فصار مرسوما بألف ولامين متناظرين الثانية منها أقصر من الزولى وأما السابع فتجيبه عنه بأنه مقرا بالتفخيم حالة الرفع والنصب كما نقول الله ولن ينال الله وإلى هذا أشار الحافظ المحقق سيدي محمد بن الجزري، وفخم اللام من إسم الله ممن فتح أو ضم كعبد الله، ويقرأ بالترقيق مع الكسر كقوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي وأما الثامن فتجيبه عنه بأن الوقوف عليه قطع له عن التبعية وقطع المتبوع هاهنا عن تابعه قبيح، وكل قبيح متروك، وأما الخمسة التي تتعلق بالرحمن الرحيم فمعناهما وإعرابهما ووسمهما والوقوف عليهما وتقديم الرحمن الرحيم، أما الأولى فتجيبه عنه بأن معناه الأصلي للغوي هي رقة وانعطاف في القلب تقتضي التفضل والإنعام، وهذا المعنى لا يخفى على المومن استحالته على الله تعالى وهو من باب الغاية، وبيان ذلك ان من رحمته غاية ما يصل إليك منه الإنعام والإكرام والتفضل، فانا نقول إن هذه الغاية هي معنى الرحمن الرحيم في حقه تعالى فكأنا تقول المنعم المجمل المتفضل، وهذه قاعدة مطردة في كل ما يستحيل على الله ظاهره، وهي منفذه لمومن من حيرته في عقائده والله أعلم بالسداد ومنه المعاني تستفاد، وأحسن منه ما قاله ابن العريف من أنهما وصفان يستحيل على الحق ظواهرهما، وتجب بواطنهما إذ هما يدلان على الرأفة والتعطف، وذلك محال عليه، فالجائز عليه منهما بل الواجب أن تقول هو الرحمن بخلقه في الدنيا، برحمته للعيان، وفي الآخرة بالصفح والغفران، وفي ذاته المعنم الذي لا ينعم عليه، وشمل جميع ما تقدم قوله تعالى، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وهي رحمته إياهم في الدنيا بعدم تعجيل العقوبة للمجرمين والهداية، وقبول العمل من المحسنين، وباطنة وهو ما ادخر الله لعباده المومنين من الفضل والنعيم المقيم في الآخرة فلا تعلم نفس ما اخفي لها من قرة أعين جزاء، ومنه قوله تعالى: ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى.

والدليل على كون الدنيا في الظاهرة قوله تعالى ظاهر أمر الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون.

وفهم من هذا أن الرحمن للرحمة في الدنيا والرحيم للرحمة في الآخرة، وهو كذلك.

■■■■

وبالنظر إلى ذاته هو المتجاوز عن مستحق العقوبة بعد استحقاقه لها، وقال قوم هما لفظان بمعنى واحد لكن بينهما خصوص من وجه، وعموم من وجه، فالرحمن أعم لشموله المومن وغيره في الدنيا برحمة واحدة، وأخص لكون الشمول برحمة واحدة والرحيم أعم لكونه بمائة رحمة وأخص لكونه خاصا بالمومنين، فالعموم هاهنا من جهة اللفظ والمعنى، فالرحمن أعم معنى وأخص لفظ، أو ذلك قوله(ﷺ) خلق الله رحمته مائة جزء فأرسل منه واحدة إلى الدنيا وأمسك عنده تسعة وتسعين، فإذا كان يوم القيامة ضم الواحدة إلى التسع والتسعين فأكملها مائة لعبادة المومنين خاصة.

■■■■

واستشكل عده هاهنا للرحمة، والرحمة والنعمة لفظان مترادفان بمعنى واحد، وقد قال الله تعالى: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، فرفعه بعضهم بأن العدد هاهنا معنوي لا يعلمه إلا الله، كجمعه وإفراده وتثنيته ليده التي هي قدرته وذلك لتعظيم الشأن وتفخيمه، وقد جمع ذلك قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة، فبطل الله قولهم بقوله بل يداه مبسوطان، وتفسيره ينفق كيف يشاء، وقيل المجموع هاهنا المعنى المجازي ولا إشكال، إذا ويحتمل أن المجموع المحصور ما أعد الله من النعم في الجنات السبع، وأما التي لا تحصى فالجنة الثامنة التي باطنها الكرسي، وسقفها العرش، فالمحصورة هي التي أشار إليها بقوله تعالى: سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، وقيل الحصر في عرضها وعدمه في طولها، والأصح كون التمثيل هاهنا شاملا لجميع الجنان السبع، وعدم الحصر الوارد إنما هو في الجنة الثامنة المشار إليها بالواو في قوله تعالى: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها، وهي التي فيها قوله(ﷺ): سئل عن الجنة أهي في السماء أم في الأرض، فقال أي سماء تظلها وأي أرض تقلها، ويعارض ذلك قوله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون.

■■■■

ورفع المعارضة هو أن الآية رفعت في الجنان السبع، والحديث واقع في الثامنة ومن ذلك قوله(ﷺ) لما خلق الله الجنة قال لها امتدي فامتدت مئة عام ثم وقفت فقال لها امتدي فامتدت مائة عام ثم وقفت فقال لها امتدي فقالت أي ربي إلى متى فقال امتدي قدر رحمتي، فهي تمتد أبدا، وذلك قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء، ومن معناها أيضا الرحمن لأهل الأرض بالمطر والنبات والرحيم لأهل السماء بقطع الشهوات والتلذذ بأنواع التسبيح والطاعات، ومنها الرحمن لمن جحد والرحيم لمن واحد، ومنها الرحمن الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم يسأل سخط، ولها من المعاني مالا يحصره إلا علام الغيوب، ستار العيوب، غفار الذنوب، وفيما ذكر للمتبصر غاية.

(يتبع)

في ظلال الحديث:

الحديث الخامس والتسعون: عوامل بناء النفس

نص الحديث:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال: ".. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه..." رواه البخاري

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا الحديث جزء من الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب التواضع،ج5/ص2385/ح6137و ح6137 وابن حنبل في مسنده، في باقي مسند الأنصار، ج6/ص256/ح26236، وابن حبان في صحيحه ج2/ص60/ح347 والطبراني في معجمه الكبير ج8/ص206/ح7833، والقضاعي في مسند الشهاب ج2/ص327/ح1456، والبيهقي في سننه الكبرى ج3/ص346/ح6188، وابي يعلى في مسنده ج12/ص523/ح7087 والطبراني في معجمه الأوسط ج9/ص139/ح9352 وأخرجه ابن أبي الدنيا في الورع ج1/ص39/ح1.

درجة الحديث

حديث صحيح انفرد به البخاري وهو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وتفرد به خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك، وأورده الألباني في الصحيح.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه البخاري فقال: حدثني محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال.. وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثني محمد بن عثمان بن كرامة: هو أبو جعفر محمد بن عثمان بن كرامة العجلي مولاهم، قال أبو حاتم الرازي صدوق وقال ابن الجارود ذكرته لمحمد بن يحيى فأحسن القول فيه وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. مات بالكوفة سنة 256هـ

ولابد له منه رواه البخاري عن بن كرامة فوافقناه فيه بعلو وليس له عنه في الصحيح غيره والله أعلم.

حدثنا خالد بن مخلد: هو الإمام المحدث أبو الهيثم خالد بن مخلد القطواني البجلي مولاهم الكوفي وقطوان موضع بالكوفة. قال ابن حنبل له أحاديث مناكير، وقال الدارمي عن يحيى بن معين ما به بأس وقال أبو حاتم يكتب حديثه وقال أبو عبيد الأجري سئل أبو داود عنه فقال صدوق ولكنه يتشيع وقال أبو أحمد بن عدي هو من المكثرين في محدثي الكوفة وهو عندي إن شاء الله لابأس به. مات سنة213هـ. وروى له أبو داود في حديث مالك والباقون.

حدثنا سليمان بن بلال: هو أبو محمد، سليمان بن بلال التيمي القرشي مولاهم، وهو ثقة عند أهل الحديث، قال أبو طالب عن أحمد لابأس به ثقة وقال الدوري عن ابن معين ثقة وصالح، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن سعد كان بربريا جميلا عاقلا حسن الهيئة وكان يفتي بالبلد وولي خراج المدينة وكان ثقة كثير الحديث مات بالمدينة سنة 172هـ.

حدثني شريك بن عبد الله بن ابي نمر: هو أبو عبد الله، شريك بن عبد الله النخعي القاضي أحد الأئمة الأعلام، كوفي ثقة، كان حسن الحديث وكان أروى الناس عنه إسحاق بن يوسف الأزرق الواسطي سمع منه تسعة آلاف حديث، وقال ابن المبارك هو أعلم بحديث أهل بلده من سفيان وقال النسائي ليس به بأس وقال عيسى بن يونس ما رأيت أحدا قط أورع في علمه من شريك. استشهد به البخاري وخرج له مسلم متابعة ووثقه يحيى بن معين مات في ذي القعدة سنة 144هـ.

عن عطاء: هو أبو محمد عطاء بن يسار الإمام الرباني المدني مولى أم المؤمنين ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، الفقيه الواعظ أخو الفقيه سليمان وعبد الله وعبد الملك روى عن زيد بن ثابت وأبي أيوب وعائشة وأسامة بن زيد وأبي هريرة وعدة، وكان ثقة جليلا من أوعية العلم. قال يحيى بن معين وأبو زرعة والنسائي ثقة. توفي سنة ثلاث ومئة (103هـ) بالإسكندرية، وهو ابن أربع وثمانين سنة، وروى له الجماعة.

عن أبي هريرة:

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم، يبين مكانة النوافل ودورها في نيل محبة الرب جل وعلا، حتى أنها تبلغ بالعبد المؤمن منزلة ما كانت تخطر على بالها، وذلك لأنها بالإضافة إلى أنها دليل على صدق الصلة بالله عز وجل ومحبته، فهي تخرج العبد من رتابة الفرائض ومن أن تصبح عادة إلى لذة العبادة، فيكون المؤمن شديد الصلة بالله، محبا لكل مايقربه من مولاه.

المعنى العام:

1. منزلة النوافل:

إن بعض الناس اليوم، وخاصة ممن لهم شهرة ومكانة بين أهل الفكر والعلم، بدأوا يكتبون، أمورا هي في ظاهرها معقولة ومنطقية وأقرب إلى الصواب، لكن القارئ المتبصر، والمتسلح بأدوات التمييز والتمحيص. من نصوص شرعية وآداب مرعية، وأدوات معرفية، عندما يدقق فيها النظر، يتبين له أن بين سطورها كلمات مسمومة، وعبارات هدامة، تنقض عددا من السنن والمسلمات عند السلف والخلف، ويخشى حقيقة أننا في بداية تنفيذ خطط من يمكرون بهذا الدين، فتكون كتاباتنا وأفكارنا التي ننشرها، معاول للهدم من الداخل، ونريح العدو من عناء عدة مراحل، كان عليه أن يقطعها لزاما. ومن يحاول أن يقنعنا أن الحرب قد انتهت بين الحق والباطل، كمن يدعي أن إبليس قد مات.

والشيء بالشيء يذكر، وكما هو معلوم وثابت تاريخا، أن مسألة الحجاب لم تثر بهذا الشكل الذي تثار به اليوم فيما مضى من القرون، ولست هنا بصدد مناقشة فرضية الحجاب أو عدم فرضيته، لأن ذلك موضوع له مكانه ووقته وأصحابه، وليس كل من هب ودب يصلح أن يكون فقيها يفتي بما عن له خاطره، وما أملى عليه هواه، وهنا والله يعلم أنني لاأقصد فلانا أو علانا، لكن أتكلم عن فكر طائفة من بني جلدتنا يدينون بديننا ويتكلمون لغتنا، لكن وبنفسية المنهزم، وأتمنى صادقا أن يكون الأمر كذلك وإلا فالأمر أخطر، تجدهم يحاولون إقناعنا بأمور غاية في الخطورة، فتجدهم مرة يشككون في علماء الأمة، كمالك والبخاري وأبي هريرة (والعهد بهذا الأمر قريب)، ومرة يطعنون في ثوابت الدين، وأخيرا نجد من يحاول أن يفصل بين السنة والفرض، وكأنه يقول لنا عليكم بالفرائض تدخلون الجنة، والحديث الصحيح للاستدلال موجود وموثق يحفظه عموم المسلمين.

وكما أنني لاأزعم أنني قد بلغت في هذا الأمر (العلم) مبلغا، وأنني لاأقصد هذا أو ذلك، فكذلك أدعو الله عز وجل أن يجعل ما أخطه هنا بيمني ينفعني وغيري من محبي هذا الدين، وأن يرزقنا جميعا الإخلاص والصواب، ومن سار على درب الحوار الهادف البناء، محترما أصول الحوار والاختلاف، وصل لامحالة إلى نور الحقيقة والبرهان.

ظاهر الحديث الذي بين أيدينا، والذي يعد من الأحاديث التي تناولتها الأمة قديما وحديثا بالدراسة والتحليل، والشرح والتأويل، نظرا لأهميته، وأهمية ما جاء فيه من نتيجة هي منحة ربانية وعطاء إلهي كريم، لأولئك الذين سلكوا طريق الطاعة والتقرب إلى الله عز وجل بما يرضيه، سواء بالفريضة أو بالنافلة، ولم يستصغروا عملا ولم يقنطوا من رحمة الله، ولم يروا أبدا أنهم قدعبدوا ربهم حق عبادته، ظاهر الحديث كما قلت، أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولا أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لاتنتج المحبة؟

والجواب (كما جاء في الفتح) أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده أن في رواية أبي أمامة "ابن آدم. إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك" وقال الفاكهاني :معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى.

ومعلوم أن النافلة لاتقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لاتحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب.

ولقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ماعليه من دين. وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم "انظروا هل لعبدي من تطوع فتكمل به فريضته" الحديث بمعناه، فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

زمن بلغ هذه المنزلة العظيمة، فأدى الفرائض وحافظ عليها، وتقرب إلى الله بالنوافل، يكون من أولياء الله وأصفيائه، ويكون يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة، ولاندخل في متاهات دخلها آخرون قبلنا، ولكن نؤكد على أنه لايكون التقرب إلى الله إلا بما وافق الكتاب والسنة.

والفرائض على ضربين، منها الفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، وتركا كالزنا والربا، والقتل وشرب الخمر وغيرهما من المحرمات، والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه وغير ذلك.

وحتى لانبقى عند الكلمات والحروف، والكلام مجرد الكلام، ونتعدى كل ذلك إلى ما هو مطلوب ومقصود، ونحاول أن نقدم فهما متجددا للحديث، ولانجمد على ماكتبه الأولون، أو نلغيه كلية، بل نتخذه وسيلة في مزيد من التأمل والتدبر، ليبعث فينا روح المبادرة والعمل، والمسابقة إلى الخيرات، ولعل أعظمها وأجلها التقرب إلى الله تعالى، سنحاول في الجزء الثاني من هذا الحديث أن نتحدث إن شاء الله تعالى عن عوامل بناء النفس المؤمنة المطمئنة...

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

خطبة الجمعة

"ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم..."آل عمران.180

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كدير

الخطبة الأولى:

■ الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي له ميراث السموات والأرض، كل مانملك هو مالكه الحق، وهو الذي آتانا إياه من فضله، وهو بما نعمل في اكتسابه، وفي إنفاقه خبير.. أشهد أنه الله الواحد الأحد الغني المغني، المانع المعطي، لاإله إلا هو، الحي الذي لايموت، هو الجواد الكريم، يبغض البخل والشح وأهلهما. لأن البخل والشح وكزازة اليد وأثرة القلب وأنانيته لاتحفظ مالا ولاتوفره، لأن أي نوع من أنواع المال والكسب الحلال، إنما هو من فضله ومن جوده وعطائه وسخائه.. هو مصدره واليه يؤول بعد زمن مهما طال فهو قصير.. وأشهد أن سيدنا ومولانا وقدوتنا الحسنة في العطاء، وإسوتنا الطيبة في السخاء محمدا رسول الله، كان أجود بالخير من الرياح المرسلة والأمطار المنزلة، كان يعطي عطاء من لايخشى الفقر... صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وعلى كل جواد سخي كريم ممن اهتدى بهديه في العطاء والسخاء والجود إلى يوم الدين..

أيها الكرام الأجواد الأسخياء، كان الصحب الكرام ممن تربوا على يد مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وعلى عينه، يغتنمون كل فرصة، وينتهزون كل مناسبة، ليلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه ليسألوه ويستفسروه عما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ولايترددون لحظة، ولايدخرون وسعا في تطبيق مايلقي عليهم من الدرر الغالية النفيسة والتعليمات الثمينة السامية، وتنفيذها ابتغاء وجه الله، وطلبا لمرضاته جل علاه. ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في حديث صحيح: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يخبر أنه ذو مال كثير وأهل، ويقول: أخبرني يارسول الله كيف أصنع، وكيف أنفق؟ فقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "تخرج الزكاة من مالك، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسكين، والجار، والسائل".

. رجل من الرجال، لم يعرفه لنا الرواة، وأمثاله من الرجال الذين يكرهون الرياء والسمعة في أمة المسلمين كثيرون والحمد لله من السلف والخلف. رجل يعرف نعمة الله عليه ويحدث بها للحمد والشكر، لا للكبر والفخر والبطر..ماله كثير وأهله وولده الذين يملؤون عليه حياته ويزينونها بوجدهم وافرون عديدون... يعرف في كل ذلك نعمة الله عليه، ويريد أن يشكرها لابمجرد القول، وإنما يريد أن يشفع القول بالعمل، حتى لا يتعرض لمقت الله الأكبر بالقول بلا عمل.

. رجل يعرف أن خير من يعلمه الشكر على النعمة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فيقبل عليه بقلبه وعقله مبادرا مسرعا: أخبرني يارسول الله كيف أصنع؟ وكيف أنفق؟ يسأل عما يصنع في اكتساب هذا المال، وكيف يكتسبه بعرق الجبين وكد الجسد والفكر ليكون حلالا طيبا مباركا، ويسأل عن كيفية إنفاقه فيما يرضي الله، وبما يرضي الله، يريد إنفاقه طيبة به نفسه عن جود وسخاء وأريحية وكرم .. وفي غيرارياء ولاسمعة... ويجيبه أطيب الخلق، وأكرم الخلق، وأجود الناس وأسخاهم: تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك"من هذا المال الحلال المكتسب من طرق حلال، وبوسائل طيبة، في غير غش ولا كذب ولاحلف ولاغبن ولارشوة ولا ربا وغصب ولاخيانة ولا استغلال، من مالك الطاهر من كل ذلك تخرج حق الله فيه الذي هو حق السائل والمحروم، حق الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل... وهذه الزكاة فريضة من الله..تطهرك من كل شر وضر ووزر وإثم وسقم وألم.. وعليك غيرها صدقات صدق نافعة، تصل بها ذوي رحمك من أقربائك، ومن غيرهم ممن هم على قرب منك مكانا وزمانا.. صدقات صدق تعرف بها حق المسكين عليك فيما آتاك الله من فضله، ترفع بها عنه ذلة الخصاصة، وعضة الجوع، ولسع برد العري، وشقاء رؤية الأولاد والأهل يعانون من فقدان أبسط ضروريات الحياة التي لايستغني عنها إنسان... وتؤدي بها حق جارك في دارك وفي عملك وفي طريقك، وفي كل مكان وزمان لك جار عليك واجب معرفة حقه.. وإذا كان الحبيب المصطفى قد أوصى بالجار على بعد أربعين دارا من كل جهة أفقيا، فقد ارتفعت العمارات الشاهقة لتزيد المسؤولية أربعين دارا أخرى من عل، ومثلها من أسفل.. والسائل له حق..تصونه عن خسيسة المسألة، تكرم إنسانيته عن ذلة اليد السفلى، تحمي آخرته عن مصير مرعب مهول: أن يبعث اليوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم بهوان التسول... وليس لذلك دواء إلا الصدقة الجارية التي تقي ذلة السؤال للعاجز، وترفع كرامة القادر حين تجد له عملا يقوم به وحرفة يتعلمها فيتقنها وراس مال مناسب يبدأ به مشروع كسبه... وإلا يفعل المؤمنون ذلك بتكافل وتضافر وتضامن بينهم فلا طهارة للفرد ولا للمجتمع.. وسيحتل الفخر والبطر والخيلاء والأثرة قلوب الأغنياء، وسيسكن الحقد والحسد والبغضاء قلوب الفقراء.. وأما ماينتظر الغني الباخل بالقدر الضئيل من زكاة ماله في آخراه فنجده في هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: :من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان (زبدتان على طرفي شدقيه) يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه (شدقيه)، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك (أي أنا نعمة الله عليك التي كنزتها وبخلت بأداء حقها من الزكاة المفروضة والصدقة المسنونة).. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة، ولله ميراث السموات والأرض، والله بما تعملون خبير" (آل عمران:180)فاللهم حصن أموالنا بالزكاة، وداو مرضانا بالصدقة، واجعلنا ممن يقاومون أمواج البلاء بالدعاء والتضرع لك وحدك يا أكرم الأكرمين ويارحم الراحمين. فقد أخبرنا حبيبنا نبيك ورسولك الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، فيما رواه عنه الأئمة أبو داود والطبراني والبيهقي رحمهم الله تعالى أنه قال: "حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع" استجب اللهم دعاءنا بزكاتنا الزكية الطاهرة المطهرة، وبصدقاتنا الصادقة المخلصة لك وحدك.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل من تمام إسلامنا أن نؤدي زكاة أموالنا.. وهو القائل عز وجل في كتابه العزيز الحكيم: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون"(التوبة: 3534) أيها المؤمن البر الكريم المزكي المتصدق ثق موقنا أن الله تعالى لن يضيع أجر عملك الحسن أيا كان... فصدقتك بركة وزيادة في عمرك..صدقتك تحميك من أسوإ العواقب عند الأجل المحتوم، صدقتك يذهب الله بها عنك تعالي الكبر، وذلة الفقر، واختيال الفخر.. ولن ينقص الله بزكاتك وصدقتك من مالك..فقد أخرج الإمام مسلم رحمه الله أن حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: "مانقصت صدقة من مال".. ولا تستهن بشيء مما تقدمه صدقة قل أو كثر، فقد حدثنا الرسول الحبيب صلى الله وآله وصحبه وسلم على الصدقة بالقليل والكثير، فقال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة".

. اللهم اجعل صدقاتنا وزكواتنا فكاكنا من النار، اللهم أطفئ بها خطايانا، فأنت القائل وقولك الحق ووعدك الحق وأنت الحق: "إن الحسنات يذهبن السيئات"(هود:114).. اللهم اجعلنا من المباكرين بالصدقات والزكوات حتى تقف حائلا بيننا وبين كل بلاء فلا يتخطاها إلينا بلاء فقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما أخرجه الطبراني في الأوسط: "باكروا بالصدقة، فإن البلاء لايتخطاها" مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين، سبط النبي الأمين، وسليل العلويين الأمجدين الأكرمين الأجودين اللهم اجعل مايطعم من الطعام ويفشي من السلام وماينفق في السر والعلانية على مر الليالي والأيام نصرا له وزيادة مدد منك له في الرزق والعافية وبسطة العلم والجسم، وسعة ورخاء وسعادة وتكافلا وتضامنا وتعاونا ووحدةواتحادا بين كل أفراد شعبه وفئاته وهيآته وجماعاته ومدنه وقراه.. اللهم أقر عينه بولي عهد الفرحة الكبرى والبشرى الدائمة مولانا الحسن وأنبته نباتا حسنا، وشد عضده وأزره بشقيقه السعيد المولى الرشيد، وبكل أهله وشعبه.. مولانا محمد الخامس ومولانا الحسن الثاني اللهم اجعل زكواتهما وصدقاتهما بردا وسلاما عليهما في ضريحيهما.. اللهم أظلهما بظلك ألوارف الظليل الكريم يوم القيامة بما تعلمه من ظلال صدقاتهما وزكواتهما وصنائع الخير والبر والمعروف التي قدماها للبلاد والعباد في دنياهما.

اللهم اغفر لنا كل ذنب وفرج كل كرب واستر كل عيب وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

علم التوقيت

الأسطرلاب الروداني

- الحلقة الثانية -

■ إعداد الأستاذ: محمد الرمشاني

■ والغريب العجيب كيف تسنى لعالم فاضل مثل الروداني أن يتبنى اختراع آلة فلكية مسبوق بها هي ليست له، ثم ينسبها لنفسه ويدعي اختراعها وابتكارها ، رجل دخل التاريخ وتحدثت كثير من المصادر عن عبقريته في جميع العلوم والفنون، وعن تاريخ سيرته انطلاقا من قاعدة سوس إلى مراكش إلى دمشق الشام إلى الحرمين الشريفين.

ومما يبعث على الاستغراب، أيضا، أن الروداني هذا مطلع على كتاب " جامع المبادئ والغايات" ، فنجده في الباب السابع في معرفة الميل والغاية للشمس والكواكب ، حيث يشير بقوله:

وقال . صاحب المبادئ والغايات إنه لايثبت على قدر واحد بل يتردد بين 23 درجة و38 دقيقة وبين 23 درجة و34 دقيقة (ويعني بذلك الميل الكلي) إذا الروداني كان على اطلاع بكتاب جامع المبادئ والغايات ومنه كان ينقل وعلى ضوئه صنع آلته التي سماها الجامعة وماهو إلا أسطرلاب كري مسبوق به.

وقد تكررت هذه القرصنة مرة أخرى على يد عالم آخر اللمسى عبد الرزاق بن محمد بن حمدوش الجزائري المتوفي عام 1780م

هذا العالم له مؤلف في النبات والأعشاب يسمى " كشف الرموز" وقد تكررت طبعاته مرات عدة وهو موجود الآن في الأسواق . هذا الشيخ ألف كتابا (عن الكرة الفلكية ذات الكرسي) وهذا الكتاب مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.

حصلت على صورة منه ورقنته، وسرعان ما تبين لي أن الموضوعات التي به مرت بين عيني ، وتذكرت أني رأيت مثلها في كتاب " جامع المبادئ والغايات" وتعجب وتأخذك الدهشة حينما وجدت الشيخ عبد الرزاق بن محمد بن حمدوش الجزائري المذكور ينقل حرفيا تماما من كتاب : جامع المبادئ والغايات" فهو لم يزر على ذلك حرفا واحدا في جميع فصول الكتاب وليس له فيه إلا المقدمة حيث يذكر فيها:

الحمد لله الذي جعل صورة العالم دالة على وحدانيته وأيقظ للنظر والاستدلال قلوب أهل معرفته، وجعل السماء ذات أبراج، والأرض ذات فجاج ، وجعل الفلك دوارا فيتعاقبه ليلا ونهارا ، والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه الأخيار. وبعد ، فلما ملكت الكرة اشتقت إلى تأليف في العمل بها فلم أجد في كتاب في هذه الساعة تأليفا مستقلا فيها إلا ما أدرجها المراكشي في كتابه حيث عقد لها الباب السابع، فأردت أن أفرد هنا بتأليف أزيد عليه ما حصل من غيره ولينتفع به من أراده فيكون لي أجر إظهاره للوجود وبالله أستعين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .. انتهى.

الشيخ ابن حمدوش رحمه الله ليس له في المؤلف المخطوط المذكور إلا هذه السطور التي ذكرناها في مقدمة الكتاب ، بالمقابلة الدقيقة مع جامع المبادئ والغايات لانجد هذا المؤلف زاد حرفا واحدا وإنما نقل فصول الكتاب كما هي مع أنه ادعى في المقدمة أنه تأليف وسيزيد على من سبقه ، والنسخة هذه مخطوطة بخط مغربي جميل تقع في 39 صفحة من القالب المتوسط مصدرة بالبسملة والصلاة على النبي ثم يلي ذلك يقول عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش رضي الله عنه ونفعنا به آمين ، رحم الله الجميع.

وأنا لي ملاحظة قد تكون هي السبب في جعل كثير من علماء هذا الفن ينقلون من كتاب (جامع المبادئ والغايات في علمي الهيئة والميقات المؤلفه علي أبو الحسن المراكشي . أن اختفاء الكتاب المذكور من الساحة العلمية منذ قرون جعله كأنه كتاب مفقود أوضائع مما يشجع على النقل منه دون النسبة إليه . وهذا الكتاب في الحقيقة هو المرجع الهام وهو الموسوعة الكبرى التي يرجع إليها في علمي الهيئة والميقات ، ومع أن مؤلفه مراكشي لاتوجد نسخة منه بالمغرب، وقد أنحى باللائمة العلامة سيدي محمد بن إبراهيم العلمي المتوفى سنة 1954 م على عدم الاهتمام بعلم التوقيت حتى فقد أهم مؤلف فيه ألف في أشهر مدن المغرب ، وربما لاتوجد نسخة تامة منه في العالم العربي أو الاسلامي ولا ما سمعناه عن نسخة غير تامة بدار الكتب المصرية وهناك بضع صفحات منه في الخزانة الأسدية بدمشق.

ولما لهذه الآلة (أعني الأسطرلاب الكري) من الأهمية فأنا الآن منكب على صنعها يسر الله ذلك. إذ أنني في إطار سلسلة التعريف بهذه الآلات الفلكية الميقاتية وفي إطار إحياء هذا التراث العظيم لاأتعرض لأي آلة فلكية مالم أكن ملما بجميع خصائصها ، ولا بد من أن يكون نموذج عندي منها ولا يليق أن أتحدث عن آلة وهمية وغير موجودة ، وما أكثر هذه الآلات الفلكية في تراثنا العريق كتب عنها التاريخ ونوه بها علماء الفلك عبر أحقاب من الزمان ، ولكنها أصبحت الآن اسما بلا مسمى.

ولنعد الآن إلى فهرس أبواب النافعة على الجامعة لمؤلفها (محمد بن سليمان الروداني) لنطلع على أدوار وأهمية هذه الآلة الفلكية العجيبة.

صدر المؤلف كتابه النافعة على الجامعة بمقدمة بين فيها الخطوط المرسومة على الجامعة على الكرتين الداخلية والخارجية ، وكذلك وضح جميع الأجزاء التابعة لهذه الآلة ، ثم أردف ذلك ب 45 بابا وأدرج في الباب الأخير عشرة فصول ، وختم بخاتمة.

الباب 1: في ذكر بعض الوضعيات مما يتعلق بالهندسات.

الباب 2: فيما يتعلق بالغرض من الطبيعيات.

الباب 3: في معرفة الدوائر المشهورة وألقابها.

الباب 4: في معرفة موضع الشمس الطبيعي في اليوم الذي أنت فيه وعكسه.

الباب 5 : في معرفة أخذ الارتفاع.

الباب 6: في معرفة وضع الكوكب على مثل ارتفاعه المرصود ومعرفة الأوتاد الأربعة.

الباب 7: في معرفة الميل والغاية للشمس والكواكب وغير ذلك.

الباب 8 : في معرفة الدائر وفضله والماضي والباقي من الساعات المستوية.

. الباب 9 : في معرفة مامضى من ساعات زمانية في الليل والنهار .

. الباب 10: في معرفة ارتفاعه قطر المدار وبعده.

. الباب 11 :في معرفة نصف التعديل ونصف القوس وكمالهما للشمس والكوكب.

. الباب 12 :في معرفة مافي الليل والنهار من ساعات معتدلة ومافي الزمانية من أدراج وصرف الساعات بعضها إلى بعض.

. الباب 13: في معرفة المطالب في البلد إذا لم يكن يخش عرضه في الكرة.

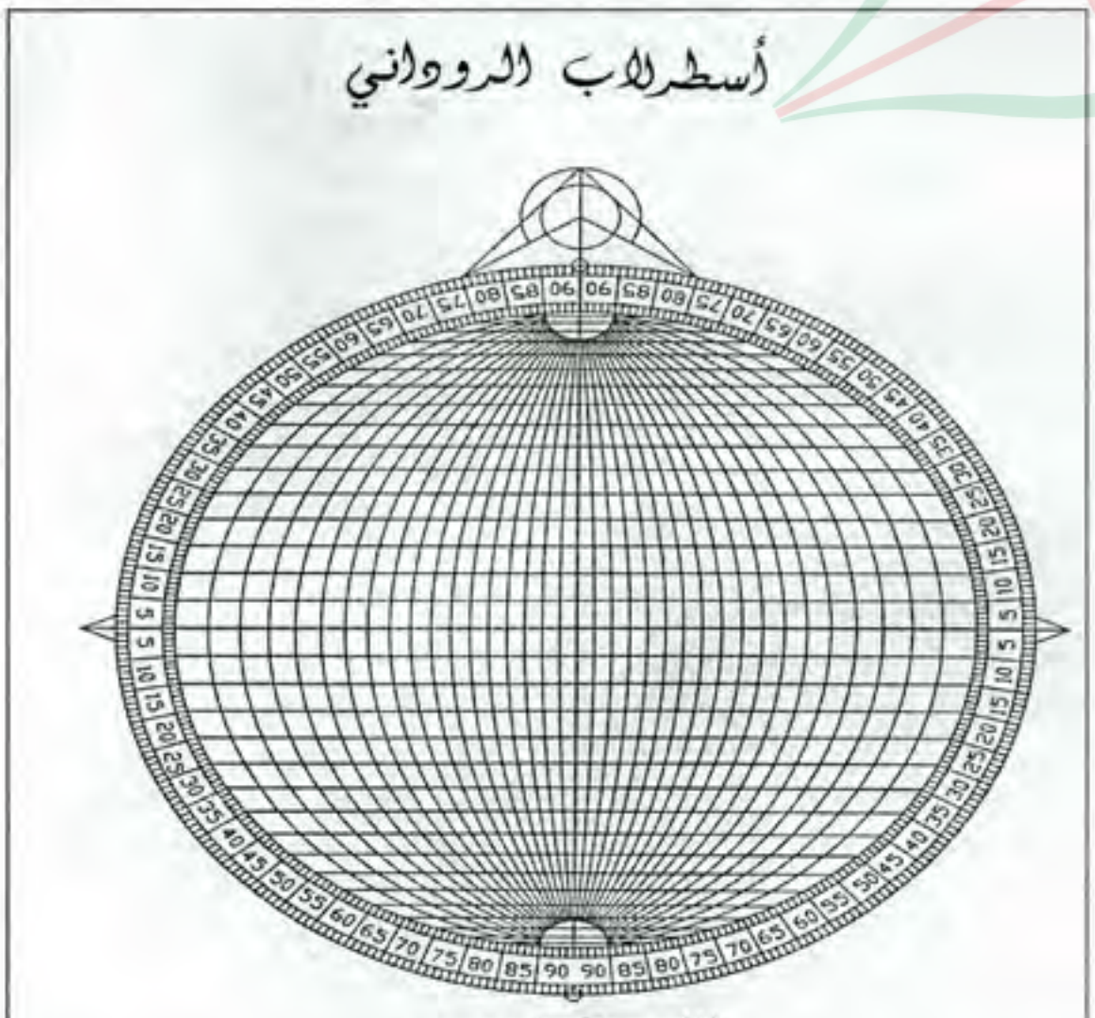

الشيخ ابن عجيبة

■ إعداد الدكتورة، زبيدة بن علي الورياغلي

مدفنه:

اتفقت كل المصادر التاريخية على أن تاريخ وفاة الصوفي الكبير سيدي أحمد بن عجيبة هو سنة1224هـ. ويتحدث محمد بوزيان المعسكري في كتابه . وهو أقدم مصدر تاريخي في تراجم الدرقاويين . عن وفاته فيقول: "توفي رحمه الله بدار شيخه سيدي محمد بوزيدي بغمارة زانرا، وبقي بعدما أدرج في كفنه وتابوته بلا دفن ثمانية أيام ينتظرون قدوم أخيه سيدي الهاشمي، فلما وصل إليه في اليوم الثامن مرض في ذلك اليوم، وبعد ثمانية أيام توفي هو أيضا ودفنا معا عند شيخهما، لكن بعد أيام عديدة طلب أصحاب سيدي أحمد من سيدي محمد بوزيدي أن ينقلوه إلى زاويته بأنجرة، فزعموا أنه أذن لهم فنقلوه وذهبوا به ليلا، ويكمنون نهارا خوفا من اغمارة إلى أن وصلوا تطوان حرسها الله، فتلقته ابنته وأهله وأحياؤه خارج السور، فتبركوا به وزاروه وحملوه إلى زاويته بأنجرة المسماة بالزميج فدفن بها".

ونختم الكلام عن سيرة العالم الكبير والقطب الجليل العارف بالله أبو العباس أحمد بن عجيبة بآخر حديث له عن نفسه حيث قال: "وهذا أجل العمر قد انصرف والحمد لله كله في طاعة الله بلا حول مني ولاقوة، وأنا أرجو من الله أن يدخلني من باب الكرم، لا من باب العمل حتى نلقى الله بالله، إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما".

مؤلفاته

ذكر معاصره أبو محمد السكيرج أن له تأليف مفيدة وذكر الشيخ عبد القادر الكوهن أن له من التأليف ماينيف على الثلاثين وجلها في التصوف. ويلاحظ أن بعض العلماء كانوا يتساهلون في اسم تأليف فيطلقونه على المؤلف الكبير وعلى التقييد الصغير، أو البحث المحتوي على بضع صفحات ومن هذا القبيل كتب الشيخ ابن عجيبة. وقد ذكر المترجم نفسه في فهرسته تأليفه كلها وأهمها البحر المديد وأزهار البستان.

"وتبلغ حصيلة ماكتب ابن عجيبة سواء من مؤلفات كبيرة أو كراسات صغيرة (مقالات) نحوا من خمسة وأربعين كتابا وكراسة بالإضافة إلى مجموعة من القصائد والتوشيحات وبعض الرسائل".

وقد وردت في الموسوعة المغربية لائحة تضم 28 مصنفا من مصنفات الشيخ ابن عجيبة مع ذكر أماكن تواجدها بمختلف الخزانات الخاصة والعامة داخل المغرب وخارجه، وقد قسم ذ داود مؤلفات ابن عجيبة إلى مجموعتين: الأولى: كتب معروف تاريخ تأليفها وعددها 32كتابا، والثانية: كتب غير معروف تاريخ تأليفها وعددها 7 كتب. وهناك مجموعة أخرى لم يكمل ذكرها ابن عجيبة في فهرسته وهي: حاشية على مختصر خليل، وشرح على الحصن الحصين، وكتاب سماه "الكشف والبيان في متشابه القرآن" والذي يظهر أنه لم يتم تأليفه أيضا وقد ذكر ناسخه أنه هو اخر ما ألف.

وقد نظم الشيخ ابن عجيبة قصائد وتوشيحات في فن الخمرة الأزلية ومايرجع إليها جمعت في ديوان مستقل بعضها في تفسير الملك والملكوت، وبعضها في شأن النفس والعقل والقلب والروح والسر. وله مع ذلك حكم ورسائل عديدة منها ما وجهه إلى بعض المشارقة، وأخرى لفقراء بني حسان وتازة. وله أيضا أحزاب منها: حزب الحفظ والتحصن وحزب العز والنصر وحزب الفتح، وقد أثبت ذلك في فهرسته.

ويمكننا تقسيم مؤلفات ابن عجيبة إلى مجموعتين متمايزتين: مؤلفات ماقبل سنة 1208هـ أي قبل دخوله رسميا في التصوف. ثم مؤلفات ما بعد تلك السنة والتي ألفها بعد أن أصبح مسؤولا عن الطريقة الدرقاوية في الشمال المغربي. ويجب أن نلاحظ أنه بالرغم من الفارق النوعي بين كتب المرحلتين ماقبل التصوف ومابعده، فإن كتب المرحلة الأولى جاءت مطبوعة بطابع الزهد والروح الصوفية التي لم تفارقه في مراحل حياته.

1. تأليف في النيات سنة 1196هـ: (148ك م.ع الرباط)يوجد ضمن مجموع من ص 249إلى ص321. كما توجد نسخة منه بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان تحت رقم872 بعنوان "تسهيل المدخل لتنمية الأعمال بالنية الصالحة" وقد قام أحد الطلبة مؤخرا بتحقيق هذا المخطوط، وتوجد نسخة منه بخزانة كلية الآداب بالرباط تحت رقم216.1مرز.

2. اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية، سنة1196هـ موجود بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم301م.

3. شرح تائية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي . سنة1198هـ. صفحات الكتاب 35 صفحة.

4. تقييداو تأليف في الغيبة ومدح العزلة. سنة 1198هـ (2841ك.م.ع الرباط يوجد ضمن مجموع مع كتاب "كنز الأسرار" للمعسكري من صفحة134إلى ص160).

5. الأنوار السنية في شرح القصيدة الهمزية. سنة1199هـ:(1296ك. م.ع الرباط230ص).كما توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم 131.

6. تأليف في التوحيد والصلاة. سنة1199هـ. لم يذكره ابن عجيبة في فهرسته.

7. شرح الحزب الكبير للشاذلي . سنة 1200هـ. توجد نسخة منه في م.ع بتطوان ضمن مجموع تحت رقم301 ويقع في 145صفحة.

8. شرح المنفرجة لابن النحوي. سنة 1201هـ رقمه 457/6 م.ع تطوان ضمن مجموع في حوالي 40ص.

9. شرح البردة للبوصيري . سنة1203هـ توجد نسخة منه في م.ع بتطوان.

10. الأنوار السنية في الأذكار النبوية سنة1205هـ (853م.ع بتطوان) يقع في 35ص.

11. شرح أسماء الله الحسنى: ذكره الأستاذ داود باعتباره من الكتب المفقودة أو التي لم يقف عليها على الأقل وقد ذكره ابن عجيبة في فهرسته ضمن الكتب الأولى في لائحة مؤلفاته.

12. اربعون حديثا في الأصول والفروع والدقائق: وهو من كتبه الأولى.

13. تأليف في القراءات العشر.

14. أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والأعيان (286ك.م.ع.الرباط) توقف فيه ولم يكمله.

15. حاشية على مختصر خليل: وقد ذكر المؤلف في فهرسته أنه لم يتممه.

16. شرح الحصن الحصين: ذكر المؤلف أنه لم يتممه.

17. شرح على تصلية عبد السلام بن مشيش: سنة1210هـ (1736د/1:م.ع.الرباط).يوجد ضمن مجموع مهم من كتب ابن عجيبة ويقع في 34 صفحة. وهو أول كتاب ألفه بعد تصوفه وخروجه من السجن. كما توجد بنفس المكان نسخ أخرى من هذا الكتاب تحت أرقام:1071د/1651د/1210د/1359ك).

18. إيقاظ الهمم في شرح الحكم: سنة1211هـ. وهو يقع في جزئين كبيرين. وقد طبع مع كتابه "المباحث الأصلية" بالقاهرة سنة1331هـ (1913م)كما طبع منفردا بالقاهرة سنة 1318هـ (1961م). وقد صدر عن دار المعارف بالقاهرة سنة1985م ضمن سلسلة "ذخائر العرب" تقديم ومراجعة الأستاذ محمد أحمد حسب الله.

19. الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: سنة1211هـ (وهو شرح كبير لآداب الصوفية وقواعد التصوف لابن البنا السرقسطي، طبع مع "إيقاظ الهمم" في جزئين).

20. شرح قصيدة هائية الرفاعي: سنة1213هـ.رقمها:(1974د/9م.ع.الرباط. وهو يقع ضمن المجموع سابق الذكر في 31صفحة، كما توجد منه نسخة أخرى في مجموع تحت رقم 1148ك.

21 شرح قصيدة خمرية لابن الفارض: سنة1213هـ (1148 ك.م.ع.الرباط.)وهو الكتاب الخامس من هذا المجموع. ويقع في50 صفحة متوسطة.

22. تفسير الفاتحة (التفسير المتوسط)سنة1213هـ:(1148ك:م.ع.الرباط)و هو يقع في أول المجموع في 17 صفحة. كما توجدنسخة أخرى منه تحت رقم1071د). وتوجد نسخة منه بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان تحت رقم2م/913ع.

23. تفسير مطول للفاتحة: جاء في "تاريخ تطوان" أن الكتاب يقع في 370صفحة دون أن يذكر المؤلف تاريخ تحرير هذه النسخة والمهم انها ألفت بعد التفسير المتوسط. كما يفهم ذلك من آخر هذا التفسير.

24. تفسير مختصر للفاتحة: سنة1219هـ. ويقع في نحو ورقتين. توجد نسخة منه في م.ع بالرباط تحت رقم 2589د. كما توجد نسخة منه في م.ع. بتطوان ضمن مجموع تحت رقم 244..

25 شرح قصيدة للششتري في محبة الله تعالى: سنة1241هـ (1974د/2 .م.ع.بالرباط. وهو يقع في16 ص كما توجد منه نسختان تحت رقم 869د و1388د).

26. شرح قصيدة في الاسم ... للششتري:1214هـ (1974د/3م.ع.الرباط. وهو يقع في 8 صفحات. كما توجد نسخة منه تحت رقم869د).

27. شرح منظومة الشيخ محمد البوزيدي في السلوك: سنة1214هـ. يقع الشرح في حوالي30ص

28 سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر: سنة1214هـ (1148ك م.ع.الرباط. وهو الكتاب الرابع في هذا المجموع، يقع في 21 صفحة، ألفه زمن الوباء الذي اجتاح تطوان في هذه السنة. ويظهر أنه آخر ما ألف بتطوان قبل مغادرته لها للإقامة بالبادية).

29. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:(سنة1216هـ . 1221هـ). وهو أضخم مؤلفات الشيخ ابن عجيبة حجما، إذ يقع في أربعة مجلدات في حوالي1400صفحة من الحجم الكبير.

30. نعوت الخمرة الأزلية في حال التجلي وبعده:سنة1216هـ (1974د/4:م.ع. الرباط، يقع في 8ص).

31. شرح تصلية ابن العربي الحاتمي: سنة1219هـ:(1974د/6:م.ع.الرباط، يقع في 9ص)وتوجد نسخة أخرى ضمن مجموع تحت رقم 2134د).

32. كشف النقاب عن سر لب الألباب (في بيان الطلاسم التي حجبت عن التوحيد الخاص)يوجد بـ م.ع.الرباط1974د/5 وهو يقع في8صفحات.

33. شرح نونية الششتري: سنة1220هـ (1736د/7:م.ع.الرباط)ويقع في63 صفحة. توجد نسخة منه بـ م.ع. بتطوان تحت رقم635، كما توجد نسخة أخرى منه في مكتبة عبد الله كنون بطنجة ضمن مجموع تحت رقم10420.

34. معراج التشوف إلى حقائق التصوف: ألفه سنة1220هـ. ويقع في 43 صفحة وهو في موضوع مصطلحات الصوفية حيث جمع نحو مائة مصطلح وفصل موضوعاتها. يوجد في المكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1974د/7 . وقد طبع الكتاب بدمشق عام1355هـ (1937م)من طرف بعض أتباع الدرقاوية بالشام. كما ترجم معانيه ملخصة إلى الفرنسية في رسالة أطروحة السلك الثالث الأستاذ ميشون (مترجم الفهرسة). وقد قام حفيدي الشيخ ابن عجيبة بطبع المؤلف سنة 1402هـ (1982م).

35. شرح تائية البوزيدي في الخمرة الأزلية: سنة1221هـ (1736د/11 :م.ع.الرباط يقع في95صفحة، كما توجد نسخة منه في م.ع.بتطوان ضمن مجموع تحت رقم845.

36. شرح آخر مطول لتائية البوزيدي في اثنا عشر كراسا ونصف صغارلم أقف عليه.

37. رسالة فيما استشكله ابن عجيبة في شرح تائية البوزيدي توجد بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم458/4ضمن مجموع.

38. كتاب في الأدعية والأذكار المحققة للذنوب والأوزار (274م.ع. تطوان).

39 الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية:سنة1223هـ (2004د/م.ع.الرباط).جمع فيها المؤلف بين النحو والتصوف عبارة وإشارة كصناعة التفسير. توجد نسخة أخرى تحت رقم 2883ك. وقد طبع باستانبول سنة1315هـ مع إغفال الشروح النحوية والاقتصار على الشرح بالإشارة.

40. الفهرسة: انتهى من تنقيحها سنة 1224هـ، وإن كان قد بدأ تأليفها قبل ذلك بمدة طويلة.

41. حاشية على الجامع الصغير للسيوطي: سنة1224هـ (1831د.م.ع.الرباط)وهو المؤلف الوحيد في العلوم الشرعية الذي ألفه ابن عجيبة بعد تصوفه ويقع في282صفحة.

42. الكشف البيان في متشابه القرآن: وهو آخر كتاب ألفه ابن عجيبة بناء على ماذكره ناسخ المخطوط ولذلك لم يتم تأليفه.

43 ديوان قصائد وتوشيحات. وقد ضمن ابن عجيبة في فهرسته كثيرا من أشعاره والأبيات الواردة في الفهرسة تتعدى500بيت ما بين قصائد وموشحات (وقد ورد في مجموع 845ب م.ع بتطوان)ذكر كثير من قصائد ابن عجيبة.

44. وله حكم ورسائل كتبها لبعض المشارقة وأخرى لفقراء بني حسان وتازا.

45. وله أيضا أحزاب منها: حزب الحفظ والتحصن، وحزب العز والنصر، وحزب الفتح. وقد أثبت ذلك في فهرسته.

ومع الأسف الشديد لم يطبع من كتبه رحمه الله سوى فهرسته وكتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم، وشرح الأجرومية مجردة من النحو، وخمسة عشر حزبا من تفسيره فقط، وكتاب معراج التشوف إلى حقائق التصوف. وقد تم أخيرا تحقيق مخطوطين للشيخ ابن عجيبة بكلية الآداب بالرباط أحدهما: حاشية على الجامع الصغير للسيوطي والثاني: تسهيل المدخل لتنمية الأعمال بالنية الصالحة.

منهاج الإسلام في التربية على العقيدة الصحيحة

■ إعداد الأستاذ: الطيب اكحل العيون

■ بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام من مكة إلى المدينة واستقر به المقام، وبدأ يوحد صف الأمة الإسلامية ، ليجمع كلمتهم ويذيب الفوارق بينهم فكان أول عمل قام به هو (بناء المسجد والمواخاة بين المهاجرين والأنصار) ثم نظر إليهم بنظره الثاقب وفراسته الإيمانية الصادقة، فرأى أن اللبنة القوية ، التي يجب أن يؤسس عليها المجتمع المسلم هي : الرجل المسلم والمراد به :

هو ذلك الرجل الذي تتأصل كلمة التوحيد في قلبه، ويكون صادقا في ترجمته العملية على طريق السلوك الصحيح ، ليصبح صرحا متماسكا في سلوكه المادي والروحي والمعنوي فيلتزم أوامر الله ويجتنب نواهيه، ويقيم حدوده فتنموا فيه القيم العليا ، التي تجعله في مأمن ، بعيدا عن الشذوذ والانحراف ، الذي يصيب الإنسان إذا ابتعد عن الله.

عندئذ ، يصبح الرجل المسلم أمة إسلامية ، يتحرك على الأرض ليعمرها تعميرا نابعا من منهاج الله الذي ارتضاه لخلقه ، وأنزله على أشرف خلق الله جميعا، قال تعالى:« فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى»، وبهذا السلوك أيضا ، ينطلق المسلم رجلا في بيته ، وفي طريقه، وفي عمله ومع الناس في معاملاتهم، ومع الله في عباداته ، وإذا نودي للجهاد ، كان من أهل السبق للدفاع عن عقيدته وعزته وعرضه، ووطنه، هذا ومن المعروف ، أن بناء الرجال أصعب وأشد من بناء ناطحات السحاب ، ومن ثم بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يبني الرجل المسلم على المنهاج الإسلامي مهتما بالتربية الروحية والعقلية والنفسية، غير متغافل عن المطالب الجسدية ليكون البناء متكاملا ، وكان يستلهم ذلك كله من وحي الله.

التربية على العقيدة الصحيحة

إن الدين صميم فطرة الإنسان ، فهو يشعر في كيانه بوجود ذات عالية ، فهيمن عليه في تصرفاته، وهي صاحبة القهر والسلطان، وقد لا تهتدي هذه الفطرة إلى الصورة الصحيحة للعقيدة تحت ظروف تأثيرات أتتها من البيئة أو الوراثة أو التفاعل فتنجرف بصاحبها إلى كثير من الخرافات والأساطير، بل قد توقع صاحبها في الإلحاد بالله أحيانا ، ولكن يظل في صميمها هذا الإدراك ، وهو الإذعان بوجود خالق له سلطانه على هذا الكون ، هذا ومن وفضل الله على الأمة الإسلامية ، أن جعل لها منهاجا شاملا قويما له أمره في تربية الفرد المسلم، تربية روحية وأخلاقية ، لتنشأ الأجيال نشأة إسلامية صحيحة كي تتكون الأمة الإسلامية الواعية، التي تسير على فطرة الله القويمة فتؤسس الصرح الإسلامي على عقيدة صحيحة فلا تزلزله نكسات الزمان ، ولا تطغي عليه قوى الشرك والطغيان فتتحول الإنسانية من ظلمات الشرك والجهالة، والضلالة والفوضى إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار فيمكن الله لها في الأرض وصدق الله إذ يقول:« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم».

ولما كان سلوك الإنسان ينبع من عقيدته ، وكل عمل يقوم به لا يكون مفعولا إلا إذا كان نابعا من عقيدة صادقة ، وهذا العمل ينعكس على الأفراد والجماعات والشعوب ، من أجل ذلك بدأ صلى الله عليه وسلم يربي الرجل المسلم على العقيدة الصحيحة ، وبخاصة أن العقيدة الصحيحة محلها القلب، ولا يمكن أن نتعرف على صدقها في قلب صاحبها إلا من واقع تصرفاته ، سواء كانت في حالة الرضا أو الغضب أو في حالة الحرب أو السلم في الهزيمة أو الانتصار، فكلها تخضع لما تمليه تلك العقيدة المستترة في قلب المسلم.

ومن ثم فإن العقيدة الصحيحة ، هي أصل دين الإسلام ، وأساس الملة، وقد ثبت من واقع الكتاب والسنة، أن جمع الأقوال والأعمال لا تصح ولا تقبل إلا إذا كانت صادرة عن عقيدة صحيحة ، فإن كانت العقيدة غير صحيحة ، بطل ما يتفرع عنها من أقوال وأعمال .

هذا ومما يجب أن نؤكده أن هذا المنهج التربوي ، إنما هو تربية لنا نحن المسلمين في هذا العصر الحديث ولكل من أراد أن يهتدي بهدي الإسلام ، ذلك بأن الفرق والجماعات ، قد كثرت في هذا الزمان، وأصبحت العقيدة في قلوب كثير من دعاة التفرقة والهدم على شفا جرف هار وأكون صادقا إذا قلت لقد انهارت العقيدة الصحيحة في قلوب كثير من المسلمين ، وسوف أوضح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى

خواطر وخلاصات

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

في سباق محموم : طالب المال ... وطالب العلم

■ جمعتني الصدفة بقوم في إحدى المناسبات لا يمتون في شيء إلى عالم المعرفة، وإنما يجمعهم عالم المقاولات والمال ،« فلا حديث لهم إلا عن أثمان الإسمنت والحديد والأجور والعمارات الجديدة التي شيدها هذا أو ذاك ، والأرباح التي تدفقت على الجيوب، والمضاربات والصفقات، وبين الحين والآخر كان أحدهم يختلس إلي نظراته في محاولة لاستكناه أسباب صمتي ووجومي وما سمعت أحدهم يهمس أو يتحدث عن محاولة إقامة مشروع تنموي أو تربوي وثقافي يسهم في تنمية البلاد.

وبالأمس فوجئت بخبر عن رجال المال والمقاولات في القاهرة ومدى نهمهم على جني المال والمزيد من الأرباح ولو على حساب الضحايا المساكين، وذلك أن مقاولا معروفا عمد إلى رفع أعمدة وطوابق عمارة باثنى عشر طابقا بناها بلا ترخيص تسببت في خمسة عشر قتيلا، وتساءلت : إلى متى يصل نهم رجال الأعمال إلى هذا الحد؟ ماذا يريدون والحياة قصيرة ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعمار أبنائها ما بين الستين والسبعين ؟ إنهم يتكالبون على المال ، أو كما قال شاعرنا محمد الحلوي في قصيدة، يصف فيها محنته وهو على فراش المرض بإحدى العيادات التي تهافتت هي الأخرى على جمع المال، قال عن الطبيب الذي استغاث به لإنقاذه:

إذا لمع الريال مشى إليه
على عينيه في لهف وشوق
وإن ناديه لإنقاذ نادوا
طبيبا منقذا من دون طوق

وحدثني صديق من البيضاء عن مريض بالقلب ذهب به أبناؤه إلى إحدى العيادات وهو في حالة خطيرة ، لكن أصحاب العيادة رفضوا استقباله وطلبوا ثلاثة ملايين قبل أن يسمحوا له بالعلاج، وبين الأخذ والرد مع عائلة المريض التي طلبت مهلة لتوفير المال مات الرجل.

هكذا يصبح المال عائقا بين المريض والشفاء، وبدونه تسقط جميع معايير الأخلاق والسلوك الإنساني فلماذا النهم على تكديس المال بدلا من تكديس المعارف وشحن العقول بالعلم؟ هما في الحقيقة نهمان لا يشبعان طالب علم وطالب مال، فطالب المال أشبه ما يكون بشارب مياه البحر وهي مالحة، وكلما تجرع شربة منه ازداد عطشا على عطش، ورغم ذلك لن يتوقف عن شربه ويصيح : هل من مزيد؟

وجامع المال هذا إنسان نهم شره لا يقنع بما لديه ولا يتوقف عند حدود معينة ويبقى كذلك نهما إلى عرض الدنيا ويجتاز كل السبل والطرق للحصول عليه بحق أو بلا حق ، فهو يعيش حياته في عسر شديد وخزانته مكدسة ، ويمشي ونعاله مهترئة لايود استبدالها أو تغييرها حتى لا تنقص قطرة واحدة من خزائن ماله وذهبه، وهكذا يعيش كالفقراء ، بالرغم من الثراء الواسع العريض ونعم الله الكثيرة ، فقير النفس فقير القلب والبذل والعطاء ، وفوق كل ذلك بخيل على نفسه وبدنه وزوجه وأولاده.

أما طالب العلم فهو على طرف النقيض من طالب المال، لأن طالب العلم يسعى إلى المعرفة ، إلى الاستزادة من حقائق الحياة والأشياء إلى البحث عن مكنونات وأسرار الظواهر المحيطة بالأنسان ، وكلما تشبع ووصل إلى إحدى النتائج لا يتوقف عندها ، بل تدفعه هذه المحصلة والمعرفة إلى طلب المزيد من المعارف والعلوم لأنه كلما ازداد علما ، أحس بأنه ينقصه الكثير من العلوم ، فدائرة المعارف حوله تتسع وتنمو، وتكبر ، ولذا يقولون : كلما ازداد المرء علما ، ازداد علما بجهله ، أي لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم، فقد جهل.

تنبيه ذوي الطلب على استعمال الأدب 1/2

■ للشيخ الفقيه سيدي مبارك بن محمد الفلالي الغربي العنبري

باسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله علي سيدنا محمد وآله.

قال الشيخ الفقيه سيدي مبارك بن محمد الفلالي الغربي العنبري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته والله الموفق للصواب

الله أحمد بأصناف الثنا ✻✻✻✻ يفوق أصناف الأنام باعتنا
ويرتقي عدا على خصال ✻✻✻✻ فيهم بصنع الله ذي التعالى
جاعل حصة من المدح لهم ✻✻✻✻ بكل خصلة بها وصلهم
وهو أهل الحمد بالحقيقة ✻✻✻✻ بوصفه الأعلى وبالخليفة
لكنه أحل من به وضع ✻✻✻✻ سبحانه من الخصال أو رفع
كما أتانا عن رسول الله ✻✻✻✻ صل عليه الله من أواه
بهديه الصحيح من المنقول ✻✻✻✻ وقد جرى في الطبع والمعقول

مقدمة في تقدير فضل العلماء رضي الله عنهم وفيه الإشارة إلى تفاضل الناس وسائر الموجودات بحسب الخصال

وكلما به الخصال كثرت ✻✻✻✻ رفع قدره الورى وعظمت
حجر إثمد فما أشبهه ✻✻✻✻ من الجماد قد عرفت شبهه
قد يبع ماقد قلّ منه بثمن ✻✻✻✻ وسائر الصخر بأبخس الثمن
ومعدن اليقوت والنضار ✻✻✻✻ أرفع أصناف الجماد الطار
وهكذا في كل صنف يبتغى ✻✻✻✻ ما نفعه أعظم دق أوعلا
وأرفع الأشياء عند العُقلا ✻✻✻✻ منافع خص بها لتبتغي
فاعتبرن ذلك في الأوقات ✻✻✻✻ وغيرها إن كنت من تقات
والحيوان منه ما شريف ✻✻✻✻ ومنه دونه يرى ظريف
وأشرق الأنام بالبيت ✻✻✻✻ أعقلهم في حكمة مصيب
قد أنزل الله ليبلوكم ✻✻✻✻ أيكم أحسن يُرشدكم
جاء عن الرسول تفسير عمل ✻✻✻✻ بأنه العقل مصحح العمل
وأعقل الخلق وأكيس الورى ✻✻✻✻ من اتقى الله وجد وسرى
في أرشد الطرق إلى الصواب ✻✻✻✻ وأقرب الهدى إلى الثواب
ومن بهذا النهج تقتفيه ✻✻✻✻ منافع الدنيا والأخرى فيه
هذا من الأدمي الياقوت ✻✻✻✻ وغيره جماد أو صموت
وليس ذلك لكل الناس ✻✻✻✻ إلا لذي علم من الأكياس
إذا أتى في صحة الأخبار ✻✻✻✻ عن الرسول المصطفى المختار
أن خلاف هدية مردود ✻✻✻✻ وكله في بدعة معدود
فقد عرفت يا أخي الآن ✻✻✻✻ بأن رشدك دنا وآن
فاسلك مع العارف بالطريق ✻✻✻✻ لسنة الرسول بالتحقيق
و هو غال في العوالم كما ✻✻✻✻ ياقوت ذي الجماد قد تقدما
لايقتنا الابكل غال ✻✻✻✻ ببذل نفسك، نعم والمال
إذ وجبت طاعته بالوحي ✻✻✻✻ بصدق وقول لابهزل غي

فصل في ما جاء في الأحاديث، في تفضيلهم وتبجيلهم وقول الله تعالى قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون، ونحوه

قد جاء أن تابع القرآن ✻✻✻✻ مؤمن من زلة الخذلان
طرفه بيدر الخلق ✻✻✻✻ وطرف بيد أهل الصدق
فمن لأهل الصدق حنّ وانتسب ✻✻✻✻ لحبهم وبعضهم قد اجتنب
قاده حبل الصدق والقرآن ✻✻✻✻ لروضة الجنات والرضوان
ولم يجد عدوه سبيلا ✻✻✻✻ لصده بقصه تضليلا
إذ الفقيه مفردا أشد ✻✻✻✻ على الشياطين الرّدا تجد
من ألف عابد يشفعون للورى ✻✻✻✻ والعابدون أجرهم تقررا
لكل عالم لواء يتبع ✻✻✻✻ محبُه ومحسن ومتبع
فهاؤلاء من أضاع حظه ✻✻✻✻ منهم متقي قد أضل لحظه
بزائل ليس له فرار ✻✻✻✻ يداه نفعا فإذ ضرار
لا تفدُ عنهم عينك اغترارا ✻✻✻✻ تريد زينة الدنيا ابتدارا
فإن رفع أهلها لأجلها ✻✻✻✻ محرّم فعد بها لأصلها

الباب الأول في تعريف العالم الذي يجب تعظيمه وقوله عز وجل: واتبع سبيل من أناب إلي ونحوه

العالم الذي اتباعه وجَب ✻✻✻✻ من فعله مع قوله اصطحب
لامن بنطق ذرب يعدل ✻✻✻✻ يقول باللسان مالا يفعل
يشير قوله إلى الرشاد ✻✻✻✻ وفعله يُوبَق في الأبعاد

الباب الثاني في اجلال العلماء وإكرامهم وتوقيرهم وقوله عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

قد قدم الرسول في اللحود ✻✻✻✻ اعلم ميتين بالتجويد
وجاء عنه أن من أجلال ✻✻✻✻ الهنا اكرام غير الغال
حامل قرآن وليس منا ✻✻✻✻ من لم يقم بحق علم سنا

الباب الثالث في التحذير من إضاعة العلماء، وعدم الحياء منهم، وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير السبيل المؤمنين الآية ونحوه

وجاء عنه أن مستخفا ✻✻✻✻ بحقهم منافقٌ مُخفا
وجاء باللهم لا يدركني ✻✻✻✻ زمان قوم للسفيه يدني
إذا لاحيا من الحليم فيه ✻✻✻✻ وانظر تمام المتن والتنبيه
ومبغض للعلماء يبتلى ✻✻✻✻ بموت قلبه عمى على الولا

الباب الرابع في بعض خصال الأدب المقتضى لتعظيمهم وقوله تعالى قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن الآية ونحوه

وجاء عنه الأمر بالتعلم ✻✻✻✻ لعلم دين الله والتحلم
وأن نعلم لدى الأحضار ✻✻✻✻ أخذ السكينة مع الوقار
مع تواضع لذي العلوم ✻✻✻✻ عند التعلم وفي التكليم
فلتعتمد في كل ماتروم ✻✻✻✻ على الا له القوي العليم .
ولا تحيل على دكاء الفهم ✻✻✻✻ حصول شيئ يقتنى منه علم
وبين الناس من الأداب ✻✻✻✻ ما ينبغي لمقتفي الصواب
من ذاك اخذه بصدق لا مشطط ✻✻✻✻ من نية لوجه ربنا فقط
فقد افاد حجة الإسلام ✻✻✻✻ إذ قال نصحا واعظا إلأنام
ان كنت تقصد بأخذ العلم ✻✻✻✻ تنافسا مع تباهي الظلم
لكي تقدم على الأقران ✻✻✻✻ ليل كل الناس والولدان
وجمع دنيا ذي الغرور الخال ✻✻✻✻ مع ذا تعزى إلى الكمال
فاعلم بأن دينك الما مول ✻✻✻✻ هذمته بالجهل يامخذول
قطع العلائق من الكبر وما ✻✻✻✻ أشبهه كمثل بعض العلما
فإن طهر القلب مما ذكرا ✻✻✻✻ أول هدي الله مهديُ الورى
قطع الشواغل مع الخروج ✻✻✻✻ عن وطن يشغل عن تخريج
ترك الحياء حيث أدى أخذه ✻✻✻✻ لترك علم واجب مأخذه
وخذ بحظ حسن من الحيا ✻✻✻✻ من غير ماضد يعودُ فعله
كمثل ورد ليلة القدر وما ✻✻✻✻ يخص بالأوراد مما علما
قد تحرم العلم بهذا السبب ✻✻✻✻ مضيعا بالثقل للتأدب
ترك التكبر على الشيوخ ✻✻✻✻ خدمتهم بمقتضى التشييخ
وذاك من مروءة تعد ✻✻✻✻ وليس أجل العلم ذا يعد
نص عليه شارح البخاري ✻✻✻✻ أعني أن الحسن ذا الفخار
ثم الجلوس مطرقا للرأس ✻✻✻✻ فلا ترى ملتفتا للناس
ولا مشبك الاصابع ولا ✻✻✻✻ مخلل الإسنان مما حصلا
والأنف مثله كذا البصاق ✻✻✻✻ طردُ الدباب كل ذا شقاق
ورفع صوتك لدى الإسماع ✻✻✻✻ بقدر حاجة بلا نزاع
من غير رفع فوق صوت الشيخ ✻✻✻✻ ولا اعتراض رأيه بنسخ
واجتنبن قال فلان خلف ما ✻✻✻✻ تقول ولتكن المستفهما
وكثرة الضحك والتشاؤب ✻✻✻✻ وكل ما تكره من مصاحب
بقدر اجلالك للمعلم ✻✻✻✻ تنال علمه لدى التعلم
وبالتقى يدرك فضل الله ✻✻✻✻ لكل عبد صادق أواه
ثم المكايدة والدوام ✻✻✻✻ صبرٌ تجلد هيا غلام
والأخذ في كل من الفنون ✻✻✻✻ إن ساعد الحال بها في الحسين
من غير أن تبدأ في الدراية ✻✻✻✻ قبل فروض العين بالكفاية
وانضر إلى التزام موسى حبرا ✻✻✻✻ لخضر ملتمسا ذا الخطرا
فهو دليل لمقام الأدب ✻✻✻✻ في طلب العلم وقصد الأرب
وسوء الظن قد من لتدعه ✻✻✻✻ لكن حسن الظن ولى في السعة
ففتش إن أردت الصحية ✻✻✻✻ لا إن ترد تبركا وقربه

(يتبع)

الرحلة الشفائية

■ إعداد: الطاهر العروسي

■ أجد نفسي بين حين وآخر متشجعا للقيام برحلة إلى حامة مولاي يعقوب، وفيما اذكر كانت أول رحلتي لها يوم رافقت والدي إلى ذلك المنتجع السياحي الشعبي إثر حادث أليم تعرض له والدي في قرية بناحية العرائش لتفقد اشغاله الفلاحية عندما ألقى به فرس جامح على الأرض تسبب له في رضوض بالظهر فنصحته العائلة بالذهاب إلى حامة مولاي يعقوب ، وقالوا له إن الحامة تحتضن شافية الأمراض المستعصية" للا شافية" ولم يكن مولاي يعقوب آنذاك يتوفر على فنادق مريحة للإقامة بها وإنما مجموعة من البيوتات الفقيرة المبنية بالطين يعلن عنها أصحابها بمجرد وصولك بسيارة الأجرة من فاس، فترتفع الأصوات منادية:

. بيت مفروش مزيان...

. غرفة واسعة لراحتكم

. مرحبا بكم لعندنا

وفي المسبح الكبير الذي يضم خليطا من المرضى القادمين من مدينة فاس ومن القرى القريبة والبعيدة تتردد أصوات لا تهدأ في الليل والنهار:

. اللهم صل عليك يارسول الله .. أجاه النبي العظيم ، الجنة للمسلمين والنار للقوم الكافرين.

مثل هذه الأصوات الحماسية الداعية إلى الجهاد تذكرتها ، وأنا تلميذ بالمدرسة الأهلية الحسنية بتطوان أشاهد الجنود المغاربة الذاهبين إلى ميادين اسبانيا على متن القطار الذاهب إلى سبتة ويمر قريبا من المدرسة لقتال من أطلق عليهم الجنيرال فرانكو : "الروخوس الحمر" كان ذلك سنة 1937.

وعندما استقر بي المقام في تلك الحجرة الضيقة بالحامة ، والتي سمتها صاحبتها ببيت الراحة ، وفيما كنا نتناول الشاي بالشيبة اقتحم علينا المجلس أحد النزلاء القادم من تزنيت بسوس، راح بلا مقدمات يتكلم بانفعال مهددا:

. هاءنا في مولاي يعقوب ، ولن يفلت من يدي الآن ذلك النذل السافل سأقتله ، وأشار إلى الحمالة التي يلتحف بها، وبدا في طرفها خنجر حاد مقضض، لقد مزّغ عرضي.. ولا بد من آخذ حقي بهذه " الكومية" وجعل يلوح بها يمينا وشمالا وكأنه في معركة، وتقلص وجه والدي ، وصوب إلي نظرات حذرة. وهرعت صاحبة البيت بعد سماعها احتجاجات التزنيتي فصرفته بهدوء وسكينة . وبذلك أحسنت التصرف.

وفي صباح اليوم التالي قال لي والدي:

أشعر بآثار السقطة في ظهري، ألا نذهب للسهريج؟

ورافقته إلى المسبح الذي كان يعج بالمرضى على اختلاف حالاتهم ، يعاني بعضهم مرضا جلديا، والبعض الآخر يعاني من الروماتيزم.

وفي مدخل المسبح وقف مجموعة من الشبان " الكسالة" ذوي العضلات القوية والصدور الصلبة المنتفخة عارضين خدماتهم ومهاراتهم في دلك الأجساد وتطويعها واسرع أحدهم فمسك بيد والدي وصاحبه إلى المسبح وفوجئت وقد انبسطت ملامحه وغمرته السعادة وهو يعرض ظهره للماء الحار المتفجر من التنور الذي كان أشبه ما يكون بباب فرن.

وعدنا إلى الحجرة وأسرع الوالد لأداء صلاة الصبح بقيامها وركوعها وسجودها كما لم يكن شيء يؤلمه ، ثم كشف لي عن رغبته في تناول فطور شهي يشتمل على السفنج والبيض والعسل والحرشة مع كؤوس الشاي ، وفي ذلك المقهى المشرف على الهضبة العالية تطلع الوالد إلى ذلك البناء الطيني الصغير الجاثم على قمة الهضبة وقال لي : ما رأيك يا ولدي لو شجعتني على صعود الهضبة إلى بيت " للا شافية" علني أشفى مما أشعر به من آلام ظهري .

رأيت وجهه طافحا بالسعادة وهو يقترح علي رغبته وقاطعته لأثنائه عن صعود الهضبة:

. للا الشافية ياوالدي صعبة المنال والصاعدون إليها تتقطع نياط قلوبهم قبل بلوغ مرامهم، والمرضى عادة عندما يحلون بالرحب والسعة على للا الشافية"لا يعلمون بأنهم شفوا من مرضهم وباتوا أصحاء بسبب مياه الكبريت المعدنية الحارة لكن الوالدكان مصرا على الزيارة مقترحا أن يتم الصعود على مراحل يستريح خلالها بين الفينة والفينة، ثم يعاود صعوده.

كان الصعود شاقا ومتعبا تخللته استراحات تحت ظلال الأشجار المنتشرة في أسفل الهضبة وأعلاها ، وبجهد جهيد قال لي والدي وعيناه ترنوان إلى القمة: معك حق فيما قلته عن الصعود الشاق إلى بيت للا الشافية، ولا أخفي عليك أنني عندما غادرت المسبح بالأمس شعرت بالراحة، وأنا الآن متشجع على تسلق الهضبة.

وفي مدخل البناية العتيقة توجه لي الوالد بالسؤال:

. من تكون هذه للا الشافية؟ ما هو تاريخ وفاتها ودفنها في رأس الهضبة؟ كيف يؤمن المرضى بقدرتها على شفائهم؟ ومن يكون مولاي يعقوب الذي يحج إليه الناس من كل مكان؟ أيكون يعقوب المنصور الموحدي؟ فمن يكون إذن؟

وهكذا عدت مع الوالد من رحلتنا الشفائية وعلامات الانشراح والعافية بادية على محياه، وفي الطريق فاجأني ضاحكا.

. احس يا ولدي كما لو أن صعودي إلى قمة الهضبة لزيارة للا الشافية ساعدني على الشفاء .. ظهري لم يعد يؤلمني، وقاطعته وأنا أتصنع الجد .

لقد تحقق شفاؤك عندما قررت الصعود إلى قمة الهضبة ، وجاءك الشفاء من ذلك التنور المتفجر بمادة الكبريت الذي عرضت له ظهرك. وتظاهرت بقناعته من ملاحظتي لكنه انحنى علي ونحن داخل السيارة العائدة إلى فاس قائلا:

. لابد لي من إعادة زيارتها في المستقبل القريب بحول الله.

. من هي ؟

. للا الشافية

وهززت رأسي كالموافق وأنا سعيد مع الوالد بالرحلة الشفائية.

في وجوب تأني المفتي في الفتيا وحرمة مسارعته إلى ما لم يعلمه

للفقيه المالكي إبراهيم اللقاني

■ اعلم أن المفتي كيف كان لا تحل له المبادرة إلى ما لا يتحققه

فقد كانت الصحابة رضي الله عنهم مع مشاهدتهم الوحي يحيل بعضهم على بعض في الفتوى ، ويحترزون عن استعمال الرأي والقياس ما أمكن وفي الحديث « أجرؤكم على أجرؤكم إلى النار» وروى عبد الرحمان بن المهدي : رأيت رجلا جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياما ما يجيبه، فقال : يا أبا عبد الله إني أريد الخروج ، قال : فأطرق طويلا ثم (رفع) رأسه فقال : ماشاء الله ياهذا، إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير .. ولست أحسن مسألتك هذه الفتوى.

وفي رواية له عنه أيضا : سأل رجل مالكا عن مسألة فقال مالك : لا أحسنها ، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها فقال له مالك : إذا رجعت إلى مكانك وموضعك، فأخبرهم أني قلت لك : إني لا أحسنها.

وتقدم من قال: لا أدري . من المجتهدين . غيره في تعريف الفقه.

وصح عنه رحمه الله أنه كان يقول : إن المسألة إذا سئل عنها العالم فلم يجب ، فاندفعت عنه فإنما هي بلية صرفها الله عنه.

وفي التبصرة لابن فرحون : « ولا يجوز التساهل في الفتوى ، ومن عرف بذلك لم يجز أن يستفتى . وربما يكون التساهل بإسراعه وعدم تثبته. وقد يحمله على ذلك توهمه أن السرعة براعة ، والبطر عجز ، ولأن يبطئ ولا يخطئ أجمل به من أن يضل ويضل » انتهى المقصود منه هنا.

وعليه أن يتأمل السؤال كلمة كلمة ، ولا سيما محط / السؤال وهو آخره ، فقد يتقيد الجميع بكلمة في آخره ويغفل عنها.

كما عليه أن يثبت في الجواب ولو كان السؤال واضحا كمسألة عقرب تحت طوبة.

تنبيه:

لايقدح الإسراع بالجواب في التثبت بعد تحقق المفتي الحكم مع جميع متمماته من قيود (وشروط) وإن حضر مجلسه من فيه أهلية لعلم ما سئل عنه فينبغي له أن يشاوره فيما يجيب به ، إن كان المسؤول عنه مما يحسن إظهاره ، واطلاع غيره عليه، ولو لم يكن مساويا له في العلم ، اقتداء بالسلف في ذلك ولرجاء ظهور ما قد يخفى عليه.

بخلاف ما يحسن إظهاره ومن لم يكن متأهلا لذلك والله أعلم

في شروط المفتي

يشترط في جواز فتواه وقبولها إسلامه ، وعدالته ولو بحسب الظاهر ، فلا تقبل فتوى فاسق ولاكافر، ولا غير مكلف ، إذ لا يقبل خبرهم، ويعمل الفاسق بعمله في نفسه.

ويشترط في ذلك : تيقظه، وقوة ضبطه فترد فتوى من غلبت عليه الغفلة، والسهو.

ويشترط فيه أيضا : أهلية اجتهاد بواحد من معاني الاجتهاد السابقة فمن عرف من العامة مسألة أو مسائل بأدلتها لم تجز فتواه بها ولا يجوز لغيره تقليده فيها ، سواء كانت أدلتها نقلية أو قياسية وسيأتي الكلام في غير المجتهد.

وسيأتي عن القرافي ما نصه: « ولا يجوز (لمفت) أن يخرج (غير المنصوص على المنصوص) إلا إذا كان حضارا لقواعد مذهبه وقواعد الإجماع ، وبقدر ضعفه في ذلك يتجه منعه من التخريج ، بل لا يفتي حينئذ إلا بمنصوص إن كان له من الاطلاع على منقولات مذهبه بحيث لا يخفى عليه غالبا أنه ليس في مذهبه ما يقتضي تقييد هذا النص الذي أفتى به ، ولا يخصص عمومه ، فإن لم تكن له هذه الأهلية ، ولا هذا الاطلاع امتنع أن يفتي مطلقا حفظ نص المسألة أم لا ، لأن هذا النص الذي حفظه يحتمل أن يكون قيد في المذهب بقيد غير موجود في الفتيا ، و(تحرم عليه الفتيا حينئذ).

وهذا يقتضي أن من لا يدري أصول الفقه (تمتنع) عليه (الفتيا) فإنه لا يدري قواعد الفروق والتخصيصات والتقييدات على اختلاف أنواعها إلا من يدري أصول الفقه ومارسه) انتهى وسيأتي له تتمة إن شاء الله تعالى.

انظر منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء . ص 239 وما بعدها

الاتجاه العقلاني في الفكر المغربي المعاصر

قراءة تأمل في نص: "التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين" لمحمد بن الحسن الحجوي

■ إعداد الدكتورة بشرى الشقوري

- الحلقة الأولى-

■ تعد كتابات وأبحاث محمد بن الحسن الحجوي من أفيد وأهم الدراسات التاريخية والفكرية بالرغم من كون هذه الشخصية لم تحظ بكثير من الاهتمام من طرف الباحثين والمؤرخين ، إذا واكبت فترة تاريخية في غاية الحساسية والأهمية، وذلك لكون هذه الفترة الزمنية بالذات قد عرفت ظهور وبروز صراع مرجعيتين مختلفتين من حيث الأهداف والمقاصد والمضامين.

ففي مطلع القرن العشرين بالخصوص ، اتخذت الدعوة الإصلاحية في المغرب اتجاهين متباينين ، اتجاها سلفيا تقليديا يرى التمسك الحرفي بالتراث ، باعتباره السبيل الأمثل إلى التقدم والتحرر، وان كل ما من شأنه أن يحيد عن هذا المنهج هو بدعة وضلالة ينبغي الوقوف في وجهها بشتى الوسائل الممكنة .. ومن ثم وقف هذا الاتجاه موقف المعارض بل والمحارب لكل تحديث وتبديع.. أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه حداثي ، يرى في الحضارة الغربية ، وفي منهجها" العلمي " السبيل الأمثل لإصلاح الأوضاع المتدهورة ، وبالتالي فهو ينظر إلى المدينة الغربية على أساس أنها النموذج والمثال الذي ينبغي التمسك به للخروج من هذا التخلف المثقل بإكراهات الماضي.

وفي خضم هذا الصراع والتوتر، لا يعدم الباحث أن يجد ثلة من الفقهاء المغاربة ممن وقف موقفا إيجابيا من الحداثة والحضارة الأروبية ، وحاول الاستفادة من " الآخر " بغية إنقاذ المجتمع من التخلف والظلم الذي يقبع فيه ، والوصول به إلى شاطئ التقدم والتحضر .. وذلك انطلاقا مما تقدمه هذه الحضارة من مختلف التقنيات والنظريات العلمية وكل ما يمكن الاستفادة منه بغية الإصلاح وتغيير ما يمكن تغييره من الوضع القائم.

ومع بداية القرن العشرين يكون هذا الاتجاه الأخير قد حقق قفزة نوعية في سبيل الارتقاء بالنظرية التقليدية التي تقف موقفا سلبيا من التعامل مع إشكالات العصر وإفرازات الواقع ، إلى اجتهاد يمازج بين أحكام الشريعة ومتطلبات العصر ومقتضياته.

وكان هذا الاجتهاد الفقهي في البداية مشوبا بنوع من الحيطة والحذر خوفا على الذات من الذوبان في حضارة الآخر، ومن ثم فقدان الهوية والانتماء الإسلاميين وتجنبا من الانزلاق إلى المحذورات والممنوعات من ناحية أخرى .. وقد سار هذا المسلك الاجتهادي الفقهي في اتجاه القبول والموافقة على المستجدات والتقنيات الوافدة من الغرب بغية توظيفها والاستفادة منها لإصلاح ما يمكن إصلاحه.

إن كتابات الحجوي كانت شاهدة على فترة في غاية الدقة من فترات تحول كل من الدولة والمجتمع في المغرب الحديث تنم عن فكر تحرري " تقدمي "، وخطابات نهضوية إصلاحية تحديثية ، ويستنتج الأستاذ بنسعيد من دراسته لآثار الحجوي قائلا: « إن في قراءة ما كتبه مؤلف " الفكر السامي" ما يغري بالقول ببلوغ خطاب التجديد السلفي ذي المدى البعيد في المغرب مع محمد الحجوي ، وبمد قنوات الحوار مع الخطاب " الليبرالي كما نجده في الفكر العربي المعاصر ، بل وفي أكثر أشكال ذلك الخطاب جرأة في الدعوة إلى التحديث : تحديث الدولة وتحديث المجتمع ، مما يجعل الفقيه الحجوي (ومن معاصره احمد بن المواز) من المؤسسين البارزين لمكونات الخطاب السلفي الإصلاحي.

وبكلمة ، يمكن القول إن ما خلفه الفقيه الحجوي من آثار ، وما أثر عنه من مواقف وآراء تجاه جملة من القضايا التي عاصرها تكشف عن فقيه صاحب مشروع حضاري متكامل يشمل مختلف مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. وهذا دليل على أن الحجوي لم يقف موقفا سلبيا تجاه إفرازات المرحلة التي عايشها بل كان فاعلا ومنفعلا في مجتمعه ، بالرغم من أنه عانى من مشكلة التهميش ، ولم يعط له . ولمصنفاته أيضا . ما يستحقه من الاهتمام والدراسة.

والنص الذي بين أيدينا" التعاضد المتين" هو أحد النصوص القليلة النادرة التي تكتسب أهمية تاريخية مهمة لكونه مؤرخ لفترة حاسمة من تاريخ المغرب المعاصر ، وهي فترة الثلاثينيات من القرن الماضي.

وقفة تأمل مع النص:" التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين".

إن الإشكالية التي يطرحها المفكر في بداية هذا النص يمكن اختصارها في التساؤل التالي: هل الدين فوق العقل والعلم، أو هل العقل فوق الدين. فيؤدي إلى التحسين والتقبيح العقليين، وهو مذهب المعتزلة . ومرد هذه الإشكالية أن في أصول الشريعة ما يقتضي أنها مبنية على الأصل الأول(أي الدين)،

وفيها . أيضا . ما يقتضي أنها مبنية على الثاني (أي العقل). ولتحليل هذه الإشكالية يرى الحجوي أنه لابد من بيان وتحديد مراد هذه المصطلحات الثلاث لنقف بالتالي على جوهر المشكلة.

إن المراد بالدين : الأصول والأحكام المأخوذة من القرآن الذي هو قطعي لكونه متواترا .. وكذلك السنة المتواترة (أي أنها قطعية من حيث السند ويلحق بها خبر الواحد إذا احتفت به القرائن الدالة على صدق الخبر .. وكانت دلالته على المراد قطعية صريحة، لأن ما سبيله القطع (الاعتقادات) بخلاف الأحكام الاجتهادية لا يتمسك فيه إلا بالدلالة القطعية ، وزعم المعتزلة وكثير من الأشعرية أن الدلائل السمعية قد تفيد القطع لتوقف على العالم بالوضع وبإدارة المعنى المراد.. أما الحجوي فيرى أن الأدلة السمعية لا تفيد القطع بقرائن مشاهدة أو متواترة تدل على انتفاء الاحتمالات الوهمية كلها.

أما المراد بالعقل: فليس جوهره المركب في الإنسان الذي به يميز عن بقية الحيوان،بل المراد ما دل عليه العقل وحده بشعوره الفطري ككون الواحد نصف الاثنين ، واستحالة اجتماع النقيضين ، أو ما دل عليه العقل بواسطة استناده لعادة أو حس أو تجربة من قواعد العلوم وأحكام ضرورية أو نظرية دلالة قطعية لا تحتمل النقيض ، ولا يتغير للنظر فيها مع طول الأمان ، حيث إن العقلاء اختبروها وامتحنوها امتحانا عمليا قطعيا قد دلت التجارب على أنها يقينية. لاشك يحصل في صحتها والقطع بها. وليس المراد منه تلك القواعد والنظريات التي أسسها علماء وفلاسفة في ميادين مختلفة مثل : المنطق والفلك، والرياضيات .. ومضى عليها إجماع ، ثم تغيرت وانقلبت قواعدها رأسا على عقب ، كلما تقدم العلم وتغيرت مستنداته.

لذلك فإن إشكالية هذا الموضوع تكمن وتنحصر في التعارض أو التناقض الذي قد يبدو بين النصوص القطعية (القرآن أو السنة القطعيان، وكذا الإجماع الصريح لا السكوتي) والقواعد العقلية والعلمية القطعية (إذا ثبتت هذه القطعية بعد الامتحان وتأييد المشاهدة).

بادئ ذي بدء يجزم المفكر المغربي ، وعن طريق استقراء أصول الشريعة وفروعها ، أن الشرع ليس مبنيا على الأصل الأول(الدين) ولا على الثاني (العقل) . بدليل أننا إذا قلنا إن الدين فوق العقل ، كما يقول أصحاب اللاهوت ، فمعناه أنهما يتعارضان ويتناقضان ، فإذا تعارضا وتناقضا قدموا الدين ونبذوا ما يحكم به العقل .. مع أن القواطع العقلية قامت على وحدانية الله تعالى.. أما إذا قلنا العكس، كما تقول المعتزلة. حيث حكموا العقل في الدين وعلى الله، وجعلوا الدين تابعا والعقل حاكما ومتبوعا.. أوجبوا على الله الصلاح والأصلح وجعلوا للعقل سلطانا على الشرع الإلهي!

أما عند أهل السنة والجماعة فليس أحدهما فوق الآخر، لأن الفوقية معناها أنهما يتناقضان فنقدم أحدهم على الآخر فيكون فوقه بمعنى أن يبطله ، وهذا لا يتصور في الشريعة .. فالدين، دائما، متوافق مع العقل ولا تجدهما متضادين .. إذ لا يتصور مضادة قاطعين أو مناقضتهما ، إذ الفرض قطعيتهما.

والحقيقة أو القاعدة التي يصل إليها الحجوي هي أننا لو بحثنا واستقصينا بإمعان هذا الموضوع ، وجدنا أن هناك معاضدة تامة بين النصوص الشرعية القطعية وبين القواعد العقلية القطعية أو العلمية التي سلمها الفن والامتحان والتجربة. وله على ذلك من العقائد ، والقواعد الأصولية والفروعية:

العقائد / القطعيات: يرى الحجوي أن أكثر العقائد الإسلامية قامت عليها براهين العقل وأيدتها ، والقليل منها .. وإن لم تقم عليها البراهين العقلية ، فالعقل لا يناهضها ولا يكون ضدها كإثبات عقيدة السمع والبصر والكلام اللائقة بكماله تعالى.

أما الأشعرية وغيرهم فمتفقون على إقامة البراهين العقلية على أكثر العقائد . ومما يدل على تعاضد العقل والدين، أيضا، عقيدة التنزيه وعدم التعطيل التي هي أصل العقائد الإسلامية ومركزها .

ومن قواعد الدين الكليات الخمس التي يجب حفظها باتفاق الملل والنحل: النفس ، الدين، المال، العرض النسب، وكذلك العقل.

أضف إلى ذلك ، أن الفلسفة العصرية قد أثبتت قواعد أصيلة للفلسفة، إذا نظرنا إليها بتمعن وتفكر وجدنا أن لها أصلا في القرآن الكريم مثل: الحق لا يتعدد ولا يختص بزمان ، وهي مأخوذة من قوله تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال) سورة يونس / الآية:32. والعلم رأسمال الحياة البشرية فيجب تنميته، ودليله قوله تعالى:«وقل رب زدني علما، سورة طه الآية :114

ومما يدل على تعاضدهما أيضا ، ما نجده في القرآن والسنة من قواعد للعلوم العقلية ، طبيعية وهندسية وفلسفية وفلكية وغيرها .. ترشد إلى حقائق الكون وأدوار الطبيعة وأدوار حياة الإنسان وغير ذلك من الحقائق والقواعد .. وأخذ الدين لعلوم عقلية محضة وضمها إلى علومه كالحساب والهندسة وعلم تخطيط البلدان، ومسح الأرضين وغيرها.

ومما يزيل كل شبهة في تعاضد العقل والدين . في نظر المفكر المغربي . أن أكثر العلماء اختصاصا بأمور الدين هم فلاسفة المسلمين مثل الغزالي والفخر الرازي وابن رشد الحفيد ومن قبلهم كالكندي وغيرهم ممن يطول سردهم.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1055
السنة37
الجمعة 22 ذو الحجة 1424 هـ
الموافق 13 فبراير 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1055 الجمعة 22 ذو الحجة 1424 هـ . الموافق 13 فبراير 2004م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

مكانة دور القرآن وإشعاعها الديني

- الحلقة الأولى -

■ إعداد الدكتور: محمد الحبيب التجكاني

■ إخواني أعضاء الندوة، أيها السادة الحضور الكرام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

حقيقة موضوع دور القرآن موضوع محبب إلى النفس أولا، ثم محزن ثانيا، محبب لأننا بهذا القرآن مسلمون، ومحزن لأن القرآن خرج من حياتنا، كلا أو بعضا، ولهذا وقبل الحديث عن دور القرآن أتحدث عن القرآن نفسه، فما هو القرآن؟ من المعلوم كما قال أستاذنا إن القرآن هو كتاب الله الذي أنزل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون نظاما اجتماعيا عاما للمسلمين إلى قيام الساعة، بدلا من الجاهلية، والجاهلية ليست هذه الفترة السابقة على الإسلام فقط، وإنما الجاهلية وضع نفسي واجتماعي يحتكم إلى غير شرع الله، ولهذا يقول القرآن: (أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) فالجاهلية تقابل حكم الله عز وجل.

من المعلوم أن القرآن منذ نزوله إلى حوالي القرن السابع الهجري ظل هو الشريعة العامة للمجتمع، والقانون المدني والجنائي والدولي وكل شيء في حياة الناس، وهو الأخلاق وهو العقيدة إلى آخره ولكن خلال القرن السابع الهجري عندما دخل التتار والمغول إلى العالم الإسلامي ألغوا شريعة الإسلام، وأبدلوا بها مدونة للقانون المدني والجنائي، أسموها "مدونة إلياس" وهي مدونة جينكس خان قائد التتار، هذه المدونة كانت خليطا من الإسلام والمسيحية واليهودية والأديان الشرقية السابقة القديمة. جينكس خان فرض هذه المدونة وهولاكو فرض هذه المدونة على المحاكم الإسلامية وأجبر القضاة أن لايحكموا إلا بهذه المدونة فأصبحت هي القانون الرسمي بدلا من الإسلام، ولكن العلماء يومئذ اجتمعوا على رأسهم ابن كثير صاحب التفسير المشهور، اجتمعوا وقرروا أن من يتحاكم إلى الياس بدلا من القرآن هو كافر بإجماع المسلمين ولهذا قاطع الناس هذه المحاكم. قاطعوا مدونة جينكس خان لأنهم يريدون القرآن ولا بديل عن القرآن، ولفترة قصيرة أزيحت مدونة خان عن المحاكم الإسلامية وأعيد القرآن مرة ثانية في مذاهبه المالكي والشافعي والحنبلي الخ...

لكن أيها الإخوة المسلمون جاءت كارثة مع الاستعمار الغربي أزاحت القرآن من الساحة الإسلامية، ولم تدع له إلا مساحة صغيرة هي الأحوال الشخصية، ويريد اليوم أصحاب اليسار إزاحة هذا الجانب ويسمونه آخر معاقل الرجعية، هكذا سماها محمد الساسي رئيس الشبيبة الاتحادية، صاحب جريدة "النشرة" . الاستعمار الغربي اتخذ خطة مخالفة عن خطة جينكس خان، وهولاكو اتخذ خطة متدرجة تعتمد على تغريب القاعدة الإسلامية، تغريب الثقافة الإسلامية، تغريب العقلية الإسلامية، لكي تقبل بالتدريج، الاستبدال عن القرآن، اتخذوا أولا وسيلة سميت (الامتيازات الأجنبية) من بداية القرن الثامن عشر مع سليمان القانون التركي فبدأ بخطته في تركيا، ثم شاعت في العالم الإسلامي ومعناها أن الأجنبي فرنسي إسباني الخ.. إذا ارتكب جريمة في المغرب مثالا لايحاكم طبقا للشريعة الإسلامية، قانون المكان التي ارتكبت فيه الجريمة ولكن يحاكم بقانونه هو أي بقانون المجرم، وبالطبع الفرنسي يحاكم بقانونه الفرنسي، والإسباني يحاكم بقانونه الإسباني والإنجليزي كذلك، وهكذا انسحبت الشريعة من إحدى مساحاتها وهي الأجانب الذين يرتكبون جرائمهم في البلاد الإسلامية، وهذا كان ضمانا للأجانب لكي يعملوا ضد الإسلام، ودولهم تحميهم من القانون الإسلامي.

وبالطبع هذا الإجراء لم يكن له مقابل بالنسبة للمغربي المسلم إذا ارتكب جريمة في فرنسا أو إسبانيا، بل هو يحاكم طبقا للقانون الفرنسي والقانون الإسباني، إذن هذه هي الخطوة الأولى.

الخطوة الثانية هي الحماية القنصلية، ومعنى هذا العقد هو أن المغربي الذي يعيش في طنجة أو في تطوان أو حتى في القرى كان يحمل بطاقة تعطيها له السفارة الفرنسية أو الإسبانية أو الإنجليزية، وبمقتضى هذه البطاقة يصبح مواطنا فرنسيا يعيش في المغرب، ويحتكم عند وجود مشاكل للقانون الأجنبي ويخرج من مساحة الشريعة الإسلامية وتطلب منه أكثر من ذلك أن يكون ولاؤه للدولة التي منحته تلك البطاقة، وعدد من العلماء المغاربة حكموا أن من يأخذ هذه البطاقة هو خارج من ملة الإسلام وكانوا يسمون أصحاب الباسبور وقد أطلق هذا الإسم في عدد من المؤلفات المغربية، وبدأت في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ولكنها انتشرت انتشارا واسعا بعد احتلال تطوان سنة1860 مايسمى بالحرب الستينية، فكانت كل الأسر تقريبا، تحمل الحماية القنصلية، وكان هذا أحد الأسباب لدخول الاستعمار لأن الوزير الذي يحمل الحماية القنصلية لفرنسا كان يفعل مايشاء في المالية المغربية أو في السلطة المغربية. ثم يحتمي بفرنسا ولاتستطيع الدولة المغربية أن تضع يدها عليه، ومعروفة قضية المنبهي في طنجة أنه لما خرب مالية الدولة وأراد المغرب أن يقبض عليه جاء الأسطول الفرنسي وهدد طنجة بالضرب لأن مواطنا فرنسيا اسمه المنبهي في السجن لدى الحكومة المغربية، هذا كان أحد الأسباب في احتلال المغرب، ثم دخل الاستعمار وأزاح الشريعة بالمرة 1913 . 1914. وضع القانون المدني والجنائي والتجاري والمسطرة المدنية والجنائية وكل شيء، ولم يبق للإسلام إلا مساحة صغيرة هي الأحوال الشخصية التي قلت إن اليسار المغربي أراد أن يزيحها ويسميها: "آخر معاقل الرجعية". ولهذا فاحتفال ندوة دور القرآن مهمة مفرحة، ولكن هذه الخلفية التاريخية محزنة تدمي قلوبنا، وتذكرنا بأننا كنا مسلمين 100في المائة وأصبحنا الآن مسلمين بـ 5في المائة فقط في مدونة الأحوال الشخصية وهي لاتكون نسبة كبيرة من الإسلام هذا هو القانون.

الاستعمار لما دخل أزاح كل شيء، وفور الاستقلال كون السلطان سيدي محمد الخامس رحمه الله لجنة تدوين الفقه الإسلامي كله، وبدأت اللجنة عملها وأتمت قانون الأحوال في حوالي تسعة أشهر، ودخل العلماء وعلى رأسهم علال الفاسي دخلوا لتدوين قانون الأموال (يعني القانون المدني)ولكن فرنسا تدخلت بما كان لها من أطر في الكتابة العامة لوزارة العدل، وأوقفت عمل اللجنة، وكانت فرنسا قد وقعت مع المغرب اتفاقية الجلاء وهددت إن ظلت اللجنة تعمل عملها بأنها لن تنفذ اتفاقية الجلاء، واضطر السلطان محمد الخامس رحمه الله أن يوفق عمل اللجنة، ولازالت موقوفة إلى اليوم.

موجودة بالطبع مدونة الأحوال الشخصية، ولكن اللجنة التي صدر بها ظهير هي لجنة تدوين الفقه الإسلامي هذه توقفت إلى اليوم، ونرجو الله عز وجل أن تتحرك وأن تعود إلى الحياة، وأن تدون الفقه الإسلامي وأن نعود مسلمين كما كنا منذ بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هذا هو الجانب المحزن في نبذ اتصالنا بالقرآن الكريم اليوم.

النقطة الثانية قال أستاذنا: إن دور القرآن وجدت يوم نزل القرآن، كانت هناك مجموعات تحفظ كتاب الله وتتدرب على تطبيقه حتى يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم تعلمنا القرآن وتعلمنا العمل به، كان العمل والحفظ متوازنين، وهكذا استمرت دور القرآن في العالم الإسلامي والمغرب تاريخه في هذا المجال مفخرة، دور القرآن ليست فقط لتحفيظ القرآن، ولكن لتحفيظ القرآن وتدريس علومه، يعني تدريس علوم الشريعة وهذا المغرب ضرب فيه بسهم وافر، المغرب الرسمي والمغرب الشعبي، الدولة المغربية ساهمت في بناء المساجد والمدارس، والكتاتيب القرآنية، ولكن الخواص أيضا قاموا بدور أساسي في هذا، ويكفي أن جامعة القرويين لم تبنها الدولة الادريسية وإنما بنتها محسنة هي فاطمة الفهرية سنة 245 هذه أول جامعة في العالم بناها الشعب المغربي ولم تبنها الدولة المغربية مما يدل على أن الشعب المغربي أصيل في هذا المجال، ظهرت الزوايا في المغرب والزاوية الدلائية في الأطلس كان فيها داخلي للطلبة يسع لـ700 طالب كلهم على نفقة الزاوية، الدولة لم تتدخل في هذا المجال، مدارس وكتب وأكل وكل مايتصل بلوازم الدراسة، كانت هناك زاوية في سوس اسمها زاوية محمد بن مسعدن كان فيها1400 سكنى للطلبة ربما ليست لنا داخلية تسع 140 طالب، كلها كانت على نفقة الزاوية، والقبائل المجاورة كانت تأتي بزكواتها إلى هاته الزاوية وتختزنها فيها، الزاوية كان لها هري تختزن جميع المواد هنا، وأهل القرى يتناوبون على إعداد الطعام للطلبة والفقيه، ولازال بعض من هذا موجودا إلى اليوم في سوس، إذن هذه كانت دور القرآن الحقيقية، التي تحفظ كتاب الله أولا ثم تدرس العلوم العربية، والعلوم الشرعية لتخرج للناس فقهاء يرشدون الناس في حياتهم حتى تكون متطابقة مع كلمة الله ورسوله، انطلاقا من هذا التاريخ وجدت دور القرآن الحديثة الموجودة اليوم، فهي بعث لشيء أصيل، كان موجودا في تاريخ المغرب، وكانت إحدى خواص طريق المغرب، المغرب كان يصدر القراء رلى كل المناطق، والشمال بالخصوص كان يصدر حفاظ القرآن برواياته السبع والعشر إلى كل المناطق المغربية. ولكن في الأيام الأخيرة ضعف تحفيظ القرآن، والذي زاد في ضعفه وهدد وجوده مايسمى بنظام الكتاتيب القرآنية الموجودة اليوم، كيف ذلك؟